مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 21

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
النَّزعةُ الدّراميّةُ في شعْرِ التَّفعيلةِ السُّوري شعْر د. ثائر زين الَدّين أنموذجاً	د. نزار عبشي لينا يعقوب	30-11
البحر والمعركة من اجل الحياة في رواية العجوز و البحر لارنست همنغواي	ا.د زبيدة القاضي نعمت مهرات	50- 31
البحر و المرأة في أدب حنا مينا	ا.د زبيدة القاضي نعمت مهرات	98-51
جمالية المأسوي في شعر نسيب عريضة	ا.د نزار عبشي همسه برهان عباس	130-99

النَّزعةُ الدّراميّةُ في شعْرِ التَّفعيلةِ السُّوري
شعْر د. ثائر زين الدّين أنموذجاً

طالب الدكتوراه: لينا أحمد يعقوب كلية: الآداب – جامعة: البعث

الدكتور المشرف: نزار عبشي

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى دراسة النزوع الدرامي في شعر التفعيلة السوري من خلال نموذج لشاعر من شعراء الثمانينات، إنه الشاعر د. ثائر زين الدين؛ ليكون شعره ميدان التطبيق؛ لإبراز تلك النزعة التي اتَّسم بها الشعر الحديث بصفة عامَّة، وشعر الشاعر موضوع الدراسة بصورة خاصَّة ، وقد تبدَّتْ تلك النزعة من خلال تقنيات أسلوبيّة لجأ إليها الشاعر تمثَّلت باستخدام تقنية الحوار، وتقنية المفارقة التي جاءت على نمطين: المفارقة القائمة على اللفظ، والمفارقة القائمة على الموقف، وأخيراً عبر تقنية تعدّد الأصوات التي كانت إحدى وسائل التعبير في النص الشعري المدروس، وجاءت كل تلك التقنيات وسائل داعمة في تحقيق بناء النص الشعري الحديث.

كلمات مفتاحية : الحوار ، الدراما ، المفارقة اللفظية ،المفارقة الموقف ، تعدد الأصوات

The dramatic tendency in the poetry of the Syrian activation .Dr. Thaer Zainaldin's poetry is a model

Lina Ahmed Yacoub
Al, Baath University PhD Student

Search summary:
This research seeks to study the dramatic tendency in Syrian activation poetry through a model of a poet from the 1980s, the poet Dr. Thaer Zainaldin, to make his poetry the field of application, to highlight the tendency that characterized modern poetry in general، The poet was particularly interested in the study, and this tendency was manifested through stylistic techniques used by the poet, namely the use of dialogue technique, and the technique of paradox that came in two types: the paradox based on pronunciation, the paradox based on the situation, and finally through the technique of multiple voices, which was one of the means of expression in the poetic text studied, and all these techniques came supportive means in achieving the construction of the modern poetic text .

Key words:, Dialog, drama, verbal paradox, attitude paradox, multi-voiced

الهدف :

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح البناء الدرامي في شعر التفعيلة السوري، وقد أطرت الدراسة مجال البحث في شعر د. ثائر زين الدين؛ ليكون أنموذجاً عن شعر التفعيلة السوري، وتوضيح مدى اتّساق تلك التقنيات الأسلوبية في تحقيق المنجز الشعري غايته، والتعبير عمَّا يريده الشاعر .

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة البحث في لجوء الشعراء إلى استخدام تقنية من تقنيات جنس أدبي آخر، إذ من المعروف أنَّ الدراما مصطلح ارتبط بالمسرح، ولم يكن من التقنيات الأسلوبية في الإبداع الشعري غير أنَّ الشعراء سعوا إلى توظيف تلك التقنية بعدما وجدوا فيها ما يُحقّق لهم طاقةً جديدةً من طاقات التعبير في نصوصهم الشعرية التي تُمكّنهم من التعبير عن تجربتهم الذاتيّة .

فرضية البحث :

تنطلق فرضية البحث من الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل أدرك الشاعر السوري حدي ثنائية (الذات والموضوع) أو (التفكير الموضوعي والتعبير الذاتي)؟

كيف له أن يُعبّر تعبيراً ذاتيًا عن عالم تربطه به علاقات متبادلة ؟

هل أدرك أن الذاتي جزء من الموضوعي ؟

والأهم من ذلك هل أدرك العلاقات المتشابكة والمعقدة بين الطرفين ؟

ثم هل غلّب في نتاجاته الإبداعية جانباً على آخر ؟.

منهج البحث :

وقدِ اعْتمَدْنا على المنهج الوصفي الذي أرى أنه من أكثر المناهج اتّساقاً مع توجهنا في هذا البحث الذي يعتمد الجانب التطبيقي فيه .

الدراسات السابقة :

تناول غير باحث النزعة الدرامية في لغة الشعر المعاصر نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ومنها النزعة الدرامي في شعر بدر شاكر السياب للأستاذة الدكتورة: نادية هناوي

سعدون التي درست تلك النزعة من خلال تطبيقها على قصيدة (أسير القراصنة) كأنموذج يغري بتتبع دراسة المنحى الدرامي في قصيدة الحداثة .

ومن تلك الدراسات ما جاء في كتاب :

النزوع الدرامي في شعر نوري الجراح للناقد: أيمن باي، وفيه استكشف الناقد حدود العلاقة بين الشعر والدراما في إطار نزعة الشعر إلى التجديد ، وانعتاقه من أسر النزعة الرومانسية التي طغت عليه سابقاً بغية تعميق حضور الموضوعي والإنساني في لغة الشعر الحديث .

النزعة الدرامية في شعر محمود درويش للباحث د. رمضان عمر

أعادت الدراسة قراءة النص الدرويشي من خلال هذه التحولات الفنية، التي نقلت جوهر التجربة من واقعها الغنائي إلى واقع مقولاته الموضوعية ،وهي دراسة تتألف تشعبت إلى .خمسة فصول تناول في الأول منها مفهوم الدراما والدرامية، وعلاقتها بالقصيدة الحديثة بينما وزع الفصول الباقية على عناصر الدرامية في النص الشعري ، وهي الصراع، الحدث ومن ثمَّ الشخصية، وأخيراً الحوار

مقدمة :

تعدُّ الدراما مصطلحاً مسرحياً ، وقد وردت لدى أرسطو في كتابه فن الشعر،[1] وما يعنينا في هذا السياق أنها تعني نزعة تلازم بنية عمل تخيلي ما تتعارض مع الغنائي والملحمي [2] ومع التطور الذي شهدته الأجناس الأدبية عموماً والشعر بشكل خاص، أصبح التعبير الدرامي الصورة المثلى في التعبير الأدبي [3]

البحث :

تقوم الدراما عموماً على نوع من الصراع والحركة والتنقّل بين موقف وموقف آخر مناقض أو مخالف له ، فطبيعة الحياة تقوم على أساس درامي، والشعر ببساطة كسائر الأنواع الأدبية تعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة تتمثل قيماً جمالية ذاتية أو موضوعية، وهنا نقف عند حدود ثنائية تبدو في حديها إشكالية فنية .

[1] ـ ينظر: فن الشعر أرسطو، تر: إبراهيم حمادة، الأنجلو المصرية، القاهرة، بلا، ص 73.

[2] ـ سعيد علوش معجم المصطلحات الأدبية المعاصر دار الكتاب اللبناني بيروت سوشبريس الدار البيضاء ط1، 1985م مادة الدراما

[3] ـ يُنظر:الشعر العربي المعاصر: عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، 2007م ، ص 278.

وترتكز الدراما على عناصر عدة منها :

أولاً ـ الحوار: ولكي يكون الحوار متَّسمًا بالنزعة الدرامية يجب أن يرتكز على :

" وحدة الموضوع والأسلوب وله طابع عام ، وهي عناصر لا توجد في الأحاديث اليومية"[4]

ولا يعني الحوار القائم على الردود الناتجة عن الاستفسار بصيغة سؤال وجواب، إذ لا بدَّ للحوار من أن يعمل على تطوير الأحداث ، وتناميها .

ويؤدي الحوار دوره في القصيدة إذ يعمل على توليد الأصوات [5]

وهو ما ينأى بالشعر عن محورية الذات الشاعرة بتقديمه وجهتي نظر متضادتين وربما متصارعتين، وهذا ما يعمل على أن يُعمّق أبعاد الرؤيا الجمالية والفكرية للواقع، وكلما تعددت الأصوات في القصيدة كان الحوار أكثر قدرةً على مدّ الفعل كي يُعطي مجالاً مُتّسعًا من الأحداث كما يعمل على تطوير الحبكة والكشف عن أفكار الشخصيات وعواطفها وطبائعها الأساسية، ووصف المناظر "[6]

ويقسم إلى نوعين الحوار الداخلي والحوار الخارجي، ومن أنموذجات هذا النمط من الحوار الذي اجتمع فيه الحوار الداخلي والحوار الخارجي معاً ما نجده في قصيدة : (ماء زممت عليه الأصابع)[7]،وهو عنوان يقوم على المفارقة الناتجة عن فعل زم الأصابع على الماء، وهو فعل باعث على الخيبة الحاصلة من هذا الفعل، وهي خيبة تتكشف من خلال الحوار الذي يبدأ بصيغة سؤال صبية صغيرة في السنّ تتجه به إلى الشاعر مستهلة سؤالها بكلمة: (عمي) بما يليق بمقام المخاطب وسنه، غير أنَّ هذا الاحترام يوقظ في نفس الشاعر الحقيقة التي يبدو أنه قد غفل عنها أو تجاهلها رفضاً لفعل الزمن، وهنا يأتي هذا الصوت الخارجي؛ ليوقظ الشاعر على تلك الحقيقة:

ـ عمّي

تبسمْتُ

---

[4] ـ المصطلح في الأدب الغربي : ناصر الحاني ، دار المكتبة العصرية ، بيروت ، 1968م ، ص 53.

[5] ـ ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت سوشبريس ،الدار البيضاء، ط1، 1985م ،مادة الحوار

[6] ـ فن المسرحية : ميليت وبنتلي ، تر : صدقي حطاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،ع1، 1992م ، ص 44.

[7] ـ ورميت نرجسة عليك: ثائر زين الدين ، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2016م ، ص 99.

ـ أصبحْتَ عمَّاً إذًا يا فتى !
كان يكفي هطولُ قليلٍ منَ الثَّلجِ
فوقَ ذؤاباتِ شَعْرِكَ
حتَّى تُسمّيكَ فاتنةٌ عمَّها
لمْ تحُدّقْ قليلاً
بنورٍ يُشعشعُ منْ مقلتيكَ
ولمْ تتملَّ انفراجةَ ثغرٍ
تمرَّسَ في الحبِّ
ـ عمّي
تبسمْتُ
أرشدْتُها
فمضَتْ نحوَ غايتِها
كسفينةِ صيدٍ تشقُّ سكونَ المياهِ
ـ وماذا ـ علا الصَّوتُ ـ لوْ أنَّ
هذي الصَّغيرةَ غاصَتْ إلى عمقِ روحِكَ
أذهلَها بينَ أوديةٍ وشعابٍ
فؤادُكَ يخفقُ نسراً عجوزاً يحلّلهُ اليأسُ
ماذا لوْ أنَّ سني صباكَ
كماءٍ زممْتَ عليهِ الأصابع
ـ لا بأسَ لا بأسَ
مَنْ ذا يُقاومُ سيفَ الزَّمنْ ؟ !
ولكنَّ عنديَ ـ بعدُ ـ لآلىء لمْ يرَها النَّاسُ
عندي دروبٌ سأقطعُها
وتلالٌ سأصعدُها
ولقدْ أتدحرجُ نحوَ وهادٍ
وأنهضُ ثانيةً

سأصافحُ بعدُ مئاتِ الأيادي
أشمُّ مئات الزُّهور
وأزرعُ داليةً وشجيرة لوز
وعنديَ بعدُ نساء سأخلبُ ألبابهنَّ
وسيدةٌ سوفَ تسكبُ عطراً
على قدَمي وتُدمي قلبي
ولا بأسَ ساعتَها
أنْ تقودَ فؤادي
إلى حيثُ ترغبُ كفُّ الوسنْ !

تنهض القصيدة على أكثر من عنصر من عناصر الدراما التي بدأت بالحوار الخارجي، ومن ثم لجأ الشاعر إلى الحوار الداخلي المونولوج، وهو صوت الأنا الداخلية التي استيقظت على حقيقة نبهت إليها هذه الصبية السائلة عن جهة ما ، وربما ليس من المصادفة أن يكون فعل إرشاد الشاعر للصبية على الطريق والوجهة التي تقصد إليها معادلاً على المستوى النفسي الذي أرشد الشاعر إلى حقيقة العمر الذي وصل إليه والمرحلة العمرية التي بلغ، وهو ما يشف عنه قوله : " فمضت نحو غايتها كسفينة صيد تشق سكون المياه" .

إنه تشبيه محمّل بدلالاته؛ فالصبية السفينة هي حقيقة الحياة، وسكون المياه هي انعكاس لحالة الشاعر الذي لم يكن قد ظنَّ أن العمر قد فعل فعله فيه؛ فأصبح يُنظَر إليه بأنه عم ،إنه الحدث الخارجي الذي جاء مثيراً من مثيرات النزعة الدرامية التي تبدت في استنكار الشاعر الحاصل، وقد عكس حالة الصراع النفسي بين ما هو واقع غير مرغوب فيه، ورغبة الشاعر في الشباب الذي أكدت كلمة الصبية زوال قوَّتَهُ ، وهو ما يجعل الشاعر في موقف المدافع عن حقيقة إحساسه بالزمن الذي لا يعدُّه حقيقة؛ لأنَّ ما في داخله يمثل الحقيقة والواقع الذي ربما خفي عن نظر الخارج، لكنه مدرك بعين الشاعر الداخلية وإرادته التي تعشق الحياة، وتقر بقانونها الداخلي، ولا تعترف بسنَّة الزمن وقانون الحياة .

ويُمكننا توضيح ذلك وفق ثنائيات الأصداد التي نهضت عليها درامية العناصر الدرامية في القصيدة :

على مستوى الشخصيات :

الصبية ـــــــــــــــ الشاعر

على مستوى الصراع وقد تجلّى بشكلين ملفوظ وحركي :

اللفظي تمثل بـ : اللفظ (عمي) ـــــــــــ حرف التمني (لو)

الحركي تجسَّد بالتشبيه الثنائي القائم على المتناقضات :

مغادرة الصبية (زوال الأثر) ـــــــــــــــ سفينة صيد(فاعلية التأثير)

عمر الشاعر (فعل في حركة الزمن) ـــــــــــــــ سكون الماء(انتفاء لحركة النماء)

وتبرز كلمة عمي المفتاحية في القصيدة بؤرة تتنامى بالحدث الصاعد الذي تشتغل عليه بقية عناصر النص الدرامية من حوار خارجي يبدأ بالسؤال المبدوء بلفظ عمي وحوار داخلي يتولّد عنه حالة صراع، يتنامى بين فعل يؤكد حقيقة الزمن، ورد فعل يرفض تلك الحقيقة بإعلان الرغبة، والأمل بتحقيق الأمنيات .

ثانياً ـ المفارقة

تُحقق المفارقة في النص الشعري أعلى درجة من درجات دراميته، إذ إن المفارقة تنهض على دعامتين يتصلان بقطبين يتجاذبان في تشكيل دائرة الرؤية التي لا تنغلق على ذاتها، إنما تسعى لخلق جو من التعدد والانفتاح، وهو ما يسمح للبناء الدرامي في القصيدة بالتنامي عبر تلك الحركة الدرامية التي تقوم المفارقة في جوهرها على فعل صدام ومواجهة، وتفعيل الصراع الذي يعتمل في إطار الذات نفسها بين الشخصية الواحدة ونفسها؛ فتناقضات الشخصية مع نفسها ن والمفارقة الحادة بين واقعيتها ومثاليتها، هي العناصر الرئيسة في خلق الموقف الذي ينطوي عليه الصراع "[8] ، وغني عن البيان أنَّ المفارقة، إنما تتخلّق نتيجة تلاقي الأضداد الذي يُولّد الصراع الحتمي فيما بينها، وهو صراع يتبدَّى عبر القول الظاهر ،والمعلن والقول المضمر المسكوت عنه، وعبر حركة إعلان تناقضها حركة إسرار ، وهذا الصراع الدائر في إطار الذات الواحدة يؤدّي إلى خلق توتر يرفع من درجة درامية النص، بما يشكّله من متضادات بين الظاهر والخفي، والمعنى المتجلي، ونقيضه الخفي ،لأنَّ

[8] ـ دراسات في الأدب المسرحي : سمير سرحان ، مكتبة غريب، القاهرة، بلا، ص 24.

المفارقة إنما تعمل على درجتين متناقضتين؛ فهي تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولاً مغايراً له ." [9]

أنماط المفارقة في الشعر السوري

أ ـ المفارقة في اللفظ نفسه :

ومن هذا النمط ما نجده في قصيدة كناري صغير للشاعر ثائر زين الدين يقول فيها :"

وحدي ومنْ حولي الجميع

أحبَّةً

صحباً

رفاقاً

ثم أنظرُ

ليسَ منْ حولي أحدْ [10]

تقوم المفارقة على ما يأتي في ختام الجملة الشعرية التي تفاجىء المتلقي بما هو غير متوقع في حصول هذه النتيجة التي جاءت مقدمتها وأسبابها بخلاف ما يُمكن أن يتوقعه المتلقي، وهنا تكمن قدرة الألفاظ على تحقيق عنصر المفارقة في النص الشعري .

ب ـ **مفارقة الموقف** تعرَّف هذه المفارقة بأنها موقف أو حدث ليس فيه صاحب مفارقة، بل ثمة دوماً ضحية ومراقب، وتدعى عادة مفارقة موقف، ويُمكن أن تُدعى مفارقة غير مقصودة أو غير واعية " [11] .

ومن هذا النمط ما نجده في قصيدة للشاعر: ثائر زين الدين يقول فيها: [12]

ألقى على أسماعِها القصيدةْ

تهلَّلتْ بشَّتْ له

وشردَتْ في الركنِ

هلْ كتبْتَ الشّعرَ لي ؟

---

[9] ـ المفارقة في القصص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 2/ ع 2/ 1982م ، ص 109.

[10] ـ في هزيم الريح: ثائر زين الدين ، وزارة الثقافة ، دمشق، 2003م ،ص7

[11] ـ موسوعة المصطلح النقدي: عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، مج1993،4م، ص 43.

[12] ـ سيدة الفراشات: ثائر زين الدين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2009م، ص 115ـ 116.

أجابها : والعمر والروح ولم تتركْ لهُ أنْ يُكملَ العبارةَ السَّعيدةْ
تنبهتْ أقرؤها في البيتِ هلْ آخذُها ؟
وشربتْ قهوتَها عجولةً
وحدَّثتْ عنْ حفلةٍ لا بدَّ أنْ تحضرَها
وغادرتْ مقعدَها كمهرةٍ عنيدةْ

تؤسس القصيدة على عنصر الحوار الذي يبدو حواراً غير متكافىء بين العاشق الذي يريد أن يُفصح عما في داخله من مشاعر تجاه المعشوقة التي تتبدّى في موقف اللا مكترث بعاطفة العاشق الذي يجعل من نفسه السائل والعاشق في آن معاً، علّه يستطيع استكناه ما في داخل مخاطبته من مشاعر تجاهه، إذ يلجأ إلى مقارنة خافية بين شعورين يبدوان متناقضين :

الأول ـ شعور متلهف إلى الحب والتعبير عنه.

الثاني ـ شعور غير مبال بهذا البوح .

وهنا ترتسم المفارقة في موقف كل طرف من الطرف الآخر تجاه موقف مشترك بينهما، وهو موقف يُمكن أن يحدث في كل لحظة، وفي أي مكان، وهو ما عبَرت عنه تساؤلات المخاطبة في هذه القصيدة؛ فأسئلتها متوقعة، وهي تسير في مساق الموقف لا تخرج عنه، ويمكننا أن نقدم رسما توضيحيا لهاتين الشخصيتين : الأولى المرأة غير المكترثة ـــــــــــــــــ تتوازى مع الرجل العاشق ذي الرغبة في الإفصاح عمَّا يعتمل في نفسه تجاهها غير أنَّ مساق القصيدة يقودنا إلى المفارقة الحادة في الموقف الذي تصل إليه الخاتمة بعد لحظة الفراق حيث تعمد المرأة إلى إنهاء الموقف بينهما بصورة سريعة غير متوقعة كي يبقى العاشق وحده في المشهد، وقد أصبح وحيداً مع بقايا منه متبعثرة، يتابع في القصيدة ذاتها :

لملمَ ما بعثرتِ الحسناءُ:
قلباً مُثقلاً
كأساً وفنجاناً
وألقى نظرةً حزينة
كانتْ هناك

قدْ لوَّثها البنُّ
تنامُ فوقَ الطَّاولة
كامرأةٍ وحيدةْ !!

وهنا تتجلى حركية الحدث التي تتبدّى وفق حركة تصوير الحدث من داخل الدائرة التي كان العاشق منغلقاً على نفسه فيها، وحركة من خارج الدائرة، وقد خرج من إطار الحدث إلى إطار انكساراته الداخلية، وهنا تتجلى درامية الموقف الذي جاءت القصيدة راسمة له وفق رؤيا نأت بالذات الشاعرة عن أن تكون شخصية القصيدة؛ لتقوم بدور الواصف والسارد للموقف الدرامي الذي عكس انكسار المشهد ما بين بداية حالمة بالحب، ووصولاً إلى خيبة في خاتمة القصيدة، وبذلك استطاع الشاعر ثائر زين الدين أن يقدّم لنا صورة عن درامية الموقف عبر التصوير والسرد من غير أن يقحم نفسه في لعبة البطولة التي يمكن أن يكون هو شخصيتها في الحقيقة .

ثالثاً ــ تعدد الأصوات وهذا النمط من التعبير يسمح للآخر بأنْ يبوح بما في مخزونه من أفكار ومشاعر، ويكون دور الشاعر فيها دور المصور، وقد يُشارك في الحدث بهدف التعليق أو التفسير ، ونمثل لهذا النمط بشعر ثائر زين الدين الذي يبدو أكثر الشعراء احتفاء بهذه التقنية التي تظهر في جلّ قصائده ونمثل لذلك بقصيدة : (عرس) يقول: [13]

يُزغردْنَ منْ حولهِ
بعضهنَّ ترشّ الورودَ
وأخرى تُغنّي له
يتبسمُ أقرانهُ منْ بعيدٍ
تعالوا نزفُّ العريس
يُغلغلُ معظمهمْ في حريرِ النّساءِ
وفي دفئهنَّ
غناءٌ ورقصٌ
فيا حزنُ ما لكَ تعصرُ قلباً
عراهْ الوهنْ

[13] ـ ورميت نرجسة عليك ثائر زين الدين اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2016م ، ص 96.

ويعلو غناءٌ شجيٌّ منَ الركنِ
شيخٌ يردّدُ شعْراً عن الحبِّ في زمنٍ غابرٍ
وتعيدُ الحناجرُ صادحةً
وقدْ انتظمَ المنشدونَ كحبَّات عقدٍ
فيهمسُ جاري قصيدةَ فنٍّ
أهزُّ برأسي
وأنصتُ لامرأةٍ تتكسَّرُ قربي عبارتُها
كيفَ تلتحقونَ غداً
عرسهُ اليومَ
لا تسأليني هيَ الحربُ
يا حسرتي ضدّ مَنْ
غناءٌ ورقصٌ
فيا حزنُ ما لكَ تعصرُ قلباً
عراهُ الوهنْ

يتجلى عنصر الدرامية في هذه القصيدة عبر مفارقة تبدأ منذ العتبة النصية في العنوان الذي يحيل على مظهر من المظاهر الباعثة على الفرح والسعادة غير أن القصيدة في تدرجها الحدثي تكشف عن غير ما توحي به دلالة العنوان، وهو تدرج يعتمد على تعدد الأصوات ضمن المشهد المصور الذي يقوم الشاعر بتسليط عدسة كاميرا تصويره عليه، وكأننا أمام عرض مشهد يؤدي الأشخاص فيه أدوارهم على الخشبة ، ولكنه مسرح حقيقي إنه مسرح الحياة الذي يقوم في كثير من مشاهده الواقعية على التناقض وصراع الأضداد .

وأودّ أن أتوقّف عند قصيدة (مشاهد سورية) للشاعر : د. ثائر زين الدين ، كي نتمثّل بصورة عملية كيف يتحقّق البناء الدرامي، سواء ما تمثّل منها في الإطار الفني أم في المضمون الكلي، على أن النزعة الدرامية قد يتخللها رؤى شعرية تنظر للمستقبل بعين التفاؤل والأمل، ومن ذلك ما نجده في

قصيدة بعنوان(مشاهد سورية)، والعنوان بحد ذاته يحمل مدلولات إيحائية ويترك المتلقي أمام تساؤل ملحّ عن المشاهد التي رمى إليها الشاعر، هي مشاهد متعددة الجوانب تحمل في

طياتها رؤية الشاعر لواقع الحرب التي عاشتها البلاد، وهي مطوّلة تتألف من (33) مشهدًا تمثل الصراع القائم بين طرفين، القوى الإرهابية التي استهدفت بحقدها البلاد وعاثت فيه فساداً وخراباً وقتلا وتدميراً ، والضحية (أبناء الشعب) من دون أن يغفل الشاعر دور مقاومة أبناء الوطن من يستهدف وجودهم وهويتهم وانتماءهم، فالمشاهد فرادى يحتدم فيها صراع داخلي بين قوتين ، كما أن تعدد المشاهد يعكس طبيعة هذا الصراع .

وبعيدًا عن الجانب التنظيري، فإنَّ الشاعر يُدرك – كما يبدو لي – طبيعة البناء الدرامي بكل أبعاده أو معظمها، فقد وصل إلى المستوى الفني الذي وصل إليه كبار الشعراء المعاصرين الذين ارتادوا هذا النوع من الشعر، وتبقى محاولة الشاعر في هذا المجال علامةً فارقةً ومُميَّزةً بين المحاولات الشعرية الأخرى.

مشهد 1 [14]

يزنّرُ شيخٌ ضريرٌ فتى
بحزامٍ غريبٍ ، ويصرخُ :
" الله أكبر "
يوزّعُ قائدُ أغربةٍ
لعناصرِهِ
كاتمات .....بنادق قنصٍ
ويصرخُ :
" الله أكبر "
وتزرعُ أمّ
إلى جانبِ البيتِ زيتونة
وهيَ تهمسُ : " الله أكبر "

يعكس المشهد لا صراعاً بين فكرتين فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصور لنا صراعاً بين معتقدين، وإن شئت فهو صراع بين فلسفتين، فلسفة الإرهاب بكل بشاعته، وفلسفة شعب بسيط لاهمّ له إلا أن يعيش بسلام، وبالمجمل فهو صراع بين قوى الشرّ الدخيلة، وأبناء الشعب السوري بكل ما يحملون من وداعة ورغبة بالحياة، وتتمثّل الخاصية الدرامية في كل

[14] – وردة في عروة الريح : ثائر زين الدين ، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب ، دمشق ، 2015م ،ص 9.

جزء من بناء المشهد، فالمشهد عموماً ينقل لنا وقائع جزئية هي في حقيقتها بنية درامية لها خصوصيتها برغم ارتباطها ببقية الأجزاء .

وإذا نحن وقفنا أمام النسيج الفكري لهذه المقطوعة برزت أمامنا الطبيعة الحوارية الخارجية بين الشخوص، والطبيعة الحوارية الداخلية التي تتحرك في الصورتين المتقابلتين والمتعارضتين، والشاعر يدرك أن العمل الدرامي يعني الحركية من موقف إلى آخر ومن صورة إلى صورة تقابلها، ومن شعور إلى شعور آخر، كل ذلك في إطار الحدث الدرامي الذي يقوم عليه المشهد .

واللافت للانتباه أنّ الشاعر يولّد هذه الحركة من تصارع الأضداد وتصالبها، وهو يقف عند حدود ما يولده الصراع بين النقيضين؛ ليخلق حالة انفعالية لدى القارئ تدفعه لاستكناه حجم المأساة وفظاعتها .

يبدو ذلك على مستوى المفردات: (شيخ / فتى) ، (يصرخ / تهمس) ، (يوزّع / تزرع) ، (بنادق / زيتونة)

،(أغربة / جانب البيت)، كما يبدو هذا الصراع على مستوى الحدث الجزئي؛ فثمة حدثان جزئيان يمثلان واقعاً عاشه الشاعر كما عاشه أبناء سورية كافة (حدث توزيع الأحزمة الناسفة والبنادق والكاتمات على من غرّر بهم من الشباب، و الأم التي تزرع جانب البيت زيتونة رمزاً للسلام) ، كما أن الشاعر يستطيع توظيف اللغة بمفرداتها وطاقاتها الإيحائية وأزمنتها لخدمة المشهد الدرامي ، فالشيخ الذي يزنّر الفتى شيخ ضرير، وليس خافياً علينا تلك الدلالة الإيحائية التي تحملها كلمة (ضرير)؛ فالضرير هو الأعمى، ومن يعش في الظلام لابدّ أن يكون ضريراً، وهذا شأن خفافيش الظلام، تحيا في الظلام وتنشر الظلام، وتمتص دماء الأبرياء .

واللافت للانتباه أن الشاعر ينهي كل جزئية درامية بعبارة (الله أكبر)، وقد وردت التكبيرتان الأولى والثانية على لسان الإرهابيين (الشيخ الضرير وقائد أغربة)، وفي نهاية المشهد على لسان (الأم) التي كانت تزرع جانب البيت زيتونة ، وهنا تبلغ لحظة التأزم الدرامي ذروتها؛ فبون شاسع بين التكبيرتين، فالتكبيرتان الأوليان اتخذتا شكل قناع يظهر بعداً دراميا يفضح تقنّع هؤلاء القتلة بالدين الإسلامي على سماحته، ويكشف ما وراء هذا القناع من بشاعة المشهد مقروناً بأدوات الجريمة التي توزَّع، وتكبيرة الأم التي تصور إدراك أبناء الشعب –

معظمهم – لسماحة هذا الدين مقرونة بشجرة الزيتون التي تزرعها، وأظن أنه من باب التعسف أن نقول إن الشاعر قد أسرف بشاعرية لغته حين رمز للسلام بشجرة الزيتون ، فشجرة الزيتون كانت ومازالت وستبقى رمزاً للسلام، وقد يقول قائل : إنّ الحداثة في الشعر لا تقبل القوالب اللغوية الجاهزة والتقليدية، كما لا تقبل الصور التقليدية المبتذلة؛ فكون الزيتونة رمزاً للسلام صورة تقليدية مبتذلة، والصورة في الشعر الحديث تكشف عن علاقات تركيبية جديدة يخلقها الشاعر في سياق التعبير عن تجربته الشعورية والعاطفية، وفي قول الشاعر (وتزرع أم إلى جانب البيت زيتونة) تقريرية تتملق البلاغة القديمة في شكلها ومعناها، وفي هذا القول تعسّف واضح وفقر بلاغي لا يدرك أبعاد الصورة ذاتها؛ فالأم التي تزرع الزيتونة لها دلالة رمزية موحية ، تتجاوز التقريرية بكل فجاجتها ومباشرتها، وتبدو الدلالة الإيحائية للأم في فاعليتها الاجتماعية وبخاصة في المجتمع السوري؛ فالأم هنا رمز لأبناء الشعب عموماً، وقد تعني الأرض ، وقد تعني مجموعة القيم التي نشأ عليها أبناء الشعب، وقد تعني كل هذه المعاني مجتمعة، وأظن أن الشاعر كان موفقاً حين اختار رمز (الأم) الذي ينفتح على آفاق من الإيحاءات والمعاني والمشاعر تترجم واقع البلاد قبل الحرب، فلا أحد ألصق بالإنسان وأقرب إليه من أمّه ، وحين يتشرب الإنسان قيماً نشأ وترعرع عليها وآمن بها، فاستقرت في وجدانه، تكون كالأم قرباً إليه ، ومن خلال تجميع جزئي المشهد التخيلي تتضح لنا القيمة الفنية للصورة؛ فالسلام والرغبة فيه والتطلع إلى حياة لا قتل فيها ولا دماء جزء رئيس من ثقافة الشعب السوري، وهذا المعنى لا يتضح لو قال الشاعر مثلاً (ويزرع رجل إلى جانب البيت زيتونة) ، ثم إن الاعتراض المفترض على الصورة، يقوم على تفكير قاصر بجمالية الصورة الشعرية؛ فالحداثة تفرض علاقات غير مألوفة بين طرفي التشبيه، لكنها لا تتناول الدلالة الإيحائية للمفردة (المشبه أو المشبه به) ، والتجديد لا يعني بحال من الأحوال الانفصال التام عن الموروث، إنّما هو إعادة خلق له يستكنه أبعاد الواقع، في ظل فلسفة جمالية ذاتية، ترصد بعين مبصرة طبيعة المعطى؛ فلا ضير إن أعاد الشاعر قيمة جمالية في تشكيل جديد يعكس رؤيته ويتماهى مع عواطفه.

ثم إن الصورة تكتمل إذا نظرنا إلى مكوناتها وخصوصيتها التي تتبدى لنا من خلال تقابلها مع الصورة النقيضة، ويتضح هذا حين ننظر إلى كلمتين متقابلتين في صورتين متناقضتين تماماً، وهما (تهمس / يصرخ)، مع أن الصراخ كان في الصورة الأولى صراخ تكبيرة (

الله أكبر)، والهمس كان في الصورة المقابلة همس تكبيرة؛ فالصراخ يتسق مع المفردات التي ساقها الشاعر (بنادق / حزام / قنص)، كما أن الهمس يتسق في دلالته مع زراعة الزيتونة، وهنا تقابل آخر بين الصراخ وما تحمله الكلمة من معاني العنف، والهمس وما في الكلمة من معاني الوداعة والسكينة، و عند هذه الثنائية الحدية بين المتقابلات يتولد الحزن في أجلى صوره؛ فلو ذكر الشاعر الصورة الأولى فقط أو الثانية فقط لعرّفنا بما هو معروف، والصورة لا ترمي في الشعر الحديث لتوضيح الواضح وزيادة معرفتنا به، إنها تسعى دائماً للكشف عن الباطن غير المدرك، من خلال الجمع بين حقيقتين، وهكذا تستكشف الصورة عند الشاعر شيئاً بمساعدة شيء آخر، وإدراك غير المدرك لا المزيد من إدراك المدرك، وباختصار فالشعور (الحزن) يظلّ غامضا مبهماً ما لم يتشكل في صورة، وهو بذلك جعلنا نشاركه حزنه من خلال الإثارات المتنوعة .

والشاعر في مطولته يتحرّك في ثلاثة أزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل)، وهذا أمر يقبله العمل الدرامي عموماً، فما بالك إذا كنا نتحدث عن شاعر يطوّف بخياله في الفضاءات الثلاثة؛ فطبيعة المشهد السوري في أثناء الحرب فرضت على الشاعر، كما فرضت على الإنسان العادي أن يعقد مقارنة بين ما كان وما يحدث وما يمكن أن يحدث، وفي هذا الربط يتكشّف إدراك الشاعر لمبررات هذا التوحد بين الأزمنة، ويتضح البون الشاسع بين الماضي والحاضر ليكشف أسباب تلك الحرب.

والمشهد الأوّل يمثل فضاء زمنياً واحداً وهو الحاضر بكل قتامته، باستخدام صيغ المضارعة (يزنّر / يوزّع / يصرخ / تزرع / تهمس)، نقول هذا مع لفت الانتباه إلى توازي الحاضر الدرامي مع الحاضر الواقعي؛ لينسجم الصراع وتتولد الحركة الداخلية من تصالب وتناقض مدلولات الأفعال المضارعة، فاستمرارية الإرهاب وحضورها في المشهد الدرامي يقابله استمرارية الرغبة في السلام من طرف (الأم) التي أخذت في سياق المشهد فاعلية دلالية تعبّر عن رؤية الشاعر وتفكيره، لكنّ العمل الدراميّ عمل فكري حتى لو تداخل فيه الذاتي مع الموضوعي والخارجي مع الداخلي، هو بالنهاية يطرح فكراً من رؤية شعرية تحمل في طياتها فلسفة الشاعر الحياتية وقدرته على بناء مفردات الحياة أو إعادة تشكيلها، فما بالك إذا كانت القضية قضية وطن وشعب وانتماء وهوية، فالتفكير الدرامي السليم لا ينفصم عن الواقع ، ولا ينبغي له ذلك؛ فالدراما تصوير لروح الواقع وكشف عقلاني لأبعاده؛ فلابدّ

أن يلتحم الشاعر بواقعه لا التحام المسرحي أو القاص، ولا التحام الإعلامي والمؤرخ،بل التحام المبدع الذي لا يكتفي بالفكر وحده ولا الفن وحده، بل التحام المدرك لطبيعة العلاقة بين الطرفين، حتّى لو طغى طرف على آخر بما يمليه عليه طبيعة الحدث الدرامي وأهميته وشكل التعبير عنه .

وهنا نقف عند سؤال مهم، هل نقبل من وجهة نظر درامية أن ينتهي المشهد نهاية مثالية؛ فنقنع بشجرة الزيتون مقابل البنادق، والكاتمات والحزام الناسف ؟

نستطيع أن نرى المشاهد في نسيج درامي واحد؛ فالشاعر يدرك عدم جدوى الزيتونة إذا لم تساندها قوّة تدفع عن الوطن غائلة العدوان، أدرك ذلك بحسّه الدرامي ووعيه بضرورة المقاومة، وحين ينهي المشهد بـ : " الله أكبر" على لسان الأم (الرمز) فإنما يبني جسراً بين المثالية والواقعية، بين الزيتونة والرصاصة، بين الضعف والقوة، بين الاستسلام والمقاومة، وتبقى الله أكبر– نهاية المشهد الأوّل وبداية للمشهد الثاني – صرخة تُمثّل إدراك الشاعر لمفهوم المقاومة ببعدها الوطني، وهذا ما نراه في المشهد الثاني :

مضى ولم ينظرْ إلى الوراء
مضى كأنّ العمرَ في راحتهِ
حفنةُ ماء

والشاعر ينحو منحى الواقعيين الجدد في التفاؤل بغد أفضل؛ ففي المشهد الثالث يرسم لنا الشاعر صورة للزوجة أو الحبيبة وهي تطلب إلى زوجها أو حبيبها المقاوم، أن يعود إليها ليشتركا في هزيمة الموت وينجبان جيلاً يعيشُ زمناً بهياً

تعالَ فقدْ نهزمُ الموتَ
في نطفةٍ سأخبئها في عروقي
ننذرُها لزمان بهيّ

وقد يبدو للوهلة الأولى غياب المبرر الدرامي لاستعادة الماضوي، إلاّ إن كانت هناك ضرورة درامية أملت على الشاعر إلقاء الضوء على مساحة ماضوية معينة، ونحن ننطلق من هذه الحقيقة؛ فلا بدّ أن نستكشف فاعلية الماضي بالحاضر، ولولا هذه الفاعليّة لجاز لنا اتهام الشاعر بالحكائية الفوضوية التي لا يسمح بها البناء الدرامي للنص؛ فالماضي لا يحقق فاعليته الدرامية إلا إذا كان حاضراً في قلب الحدث الحاضر، خالقاً أو محرّكاً أو موجّهاً

لحركيته، وهذا يلزم الشاعر أن ينتقي من المشهد الماضوي ما يراه مناسباً لهذه المهمة، وبذلك يخلق حركة دورانية ويوازن بين معادلة الفعل وردّ الفعل بين الثابت والمتحوّل، ولست هنا في موقف يسمح لي أن أخوض مفصلاً في ازدواجية الثابت والمتحوّل،لكنني لا أتحدّث عن ثابت مطلق ومتحوّل مطلق؛ فالحدث الدرامي – ماضيا وحاضراً – متحوّل للحظة حدوثه ثابت للحظة انقضائها، ولم أطلق صفة الثبات على الماضي الدرامي في النص لمجرد انقضائه بالنسبة للحاضر، بل لأن الماضي الدرامي شهد تجانساً في ماهيته لا في حركيته جعلت منه فعلا من منظور الشاعر، كما أنَّ الحاضر الدرامي شهد تجانساً في ماهيته لا في حركيته جعلت منه رد فعل، وهنا يبدو طرفا المعادلة بين الماضي الفعل والحاضر ردّ الفعل، وإن كان ردّ الفعل يتخذ أشكالا مختلفة، ولنوضّح ما ذهبنا إليه نتوقف عند المشهد 6 من القصيدة ذاتها [15]:

ووالدي لمْ يكملِ الواحد والسَّبعين
عاشَ حروباً سبعةً
تروي لنا الجدّة:
لا أعلمُ منْ قاتلَ في لبنان
أسطولاً ورجعيين
لكنهُ كانَ فتى ما طرّ بعدُ شارباهُ
عادَ مسكوناً بوديان
جبالٍ.....

فالماضي على لسان الجدّة يبدو خالقاً من منظور الشاعر للحاضر الذي يمثّله المشهد الأوّل، وكأني به أراد أن يعقد مقارنة بين ماض مقاوم، وهجمة الإرهابيين على البلاد؛ ليكشف أبعاد الحرب التي شنّت على الوطن ، وهذا ما جسدته شخصية الأب نفسه :

ليتَ الجسمَ ظلّ مُكفّنًا في الثلجِ
في الجولانِ.....
ليتَ العينَ ذابتْ في الترابِ وما رأتْ
ولداً يقاتلُ أهلهُ.....

[15] – وردة في عروة الريح : ثائر زين الدين ، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب ، دمشق ، ص 15.

وأباً يزنّر طفلةً بالموت.....

وهكذا يربط الشاعر بين الماضي والحاضر والمستقبل في نسيج درامي فيخلق فضاء تتداخل فيه حدود الأزمنة الثلاثة، ويكشف عن رؤيته تجاه المشهد السوري بعموميته وجزئياته، ويتحرَّك بين الأزمنة الثلاثة في أمكنة مُتعدّدة مُحققاً وحدةَ البيئة الزمكانية وانسجامَها .

الخاتمة :

مما سبق يُمكننا القول بأنَّ النزعة الدرامية في الشعر العربي السوري مثَّلت في شعر : د. ثائر زين الدين منحى أسلوبيَّاً مميزاً جعلت منها ظاهرةً تسترعي لفتَ الانتباه ودراستها، وقد جاءت حاملةً طروحاتها الفكرية التي عبَّرت عن أشكال العلاقة القائمة بين الذات والموضوع، كما سعت إلى أن تكون ذات نزوع خلَّاق باتجاه التميّز والتفرّد الذي برز فيه صوته الشعري منذ الثمانينات، وما يزال صوتاً مُغرّداً في سماء الشعر العربي السوري، وهو ما برز بشكلٍ واضح من خلال أنموذجات شعره التي اخترناها له من غير ديوان من دواوينه الشعرية.

المصادر والمراجع :

أولاً ـ المصادر :

دواوين الشاعر : ثائر زين الدين

ـ **في هزيم الريح:** ثائر زين الدين ، وزارة الثقافة ، دمشق، 2003م

ـ **وردة في عروة الريح** : ثائر زين الدين، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب،2015م .

ـ **ورميت نرجسة عليك:** ثائر زين الدين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2016م.

ثانياً ـ المراجع :

ـ **دراسات في الأدب المسرحي** : سمير سرحان ، مكتبة غريب، القاهرة، بلا.

ـ **الشعر العربي المعاصر** : عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت ، 2007م .

الفكاهة والضحك: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 289 / 2003م .

فن الشعر: أرسطو، تر: إبراهيم حمادة، الأنجلو المصرية، القاهرة، بلا .

ـ **فن المسرحية** : ميليت وبنتلي ، تر : صدقي حطاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ع1، 1992م .

ـ **معجم المصطلحات الأدبية المعاصر**: سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت سوشبريس، الدار البيضاء، ط1، 1985م.

ـ **المصطلح في الأدب الغربي** : ناصر الحاني ، دار المكتبة العصرية ، بيروت ، 1968م .

ـ **المفارقة في القصص العربي المعاصر** : سيزا قاسم ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج 2/ ع 2/ 1982م.

ـ **موسوعة المصطلح النقدي**: عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، مج4،1993م.

سيرة ذاتية :

لينا أحمد يعقوب طالبة دكتوراه قيد الإنجاز، أرتاد المراكز الثقافية في مدينتي اللاذقية وجبلة، ومكتبة جامعة تشرين .

البحر والمعركة من اجل الحياة في رواية العجوز و البحر لارنست همنغواي

اعداد نعمت مهرات[1] اشراف ا.د زبيدة القاضي[2]

ملخص البحث

البحر هو مصدر القوة والصبر والحب و الامل و هو يمثل الحياة بكل مراحلها ، نهارها و ليلها ، فرحها و حزنها، يأسها و أملها.

نقترح في هذا البحث دراسة لرواية العجوز و البحر لإرنست همنغواي للحديث عن معركة البحار العجوز مع البحر ، إنه صراع مع الحياة ومن أجل الحياة.

يحارب الرجل العجوز من أجل الحصول على سمكته التي ستغير حياته. إنها مصدر وجوده وسعادته.

من أجل سمكته ، يقاتل وحده حتى الموت ويواجه القدر والحظ السيئ وجميع الأخطار.

أخيرًا ، فشل البحار لكنه لم ييأس، و في يوم من الأيام سيعود مرة أخرى لتطوير أسلحته وخطته ليحظى بالحظ والحب.

كلمات مفتاحية:

البحر ، السمكة ، المعركة ، انسان البحر ، الحلم ، الحظ ، القدر.

[1] طالبة دكتوراه في جامعة حلب كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة الفرنسية

[2] استاذة في جامعة حلب كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة الفرنسية

La mer, le combat pour vivre dans *Le vieil homme et la mer* d'Ernest Hemingway:

présentée par **Neimat Mouhrat**[3] sous la direction de **Dr. Zoubeida AL Kadi**[4]

Résumé:

La mer est la source de force, de patience, d'amour et d'espoir.
Elle symbolise la vie de toutes ses étapes, de son jour et son soir, de sa joie et de sa tristesse, de son espoir et de son désespoir.
Nous proposons dans cette recherche une étude du *vieil homme de la mer* d'Ernest Hemingway pour parler du combat du vieux marin avec la mer. C'est le combat avec la vie et pour la vie.
Le vieil homme combat pour avoir son poisson qui changera sa vie. C'est la source de sa présence et de son bonheur.
Pour son poisson, il combat seul jusqu'à la mort en affrontant le destin, la malchance et tous les dangers. Enfin, le marin a échoué mais il n'a pas désespéré. Un jour, il reviendra de nouveau en développant ses armes et son plan pour avoir sa chance et son amour.

Mots clés: La mer, le poisson, le combat, l'homme de la mer, le rêve, la chance, le destin

[3]Etudiante de Doctorat à l'université d'Alep à la faculté des Lettres, du département du français.

[4]Professeur du français à l'université d'Alep à la faculté des Lettres, du département du français.

Introduction:

La mer est la source de force, de patience, d'amour et d'espoir.
Elle symbolise la vie de toutes ses étapes, de son jour et son soir, de sa joie et de sa tristesse, de son espoir et de son désespoir.

La mer, "ce monde charme et merveilleux, cette métaphysique bleue qui s'étend à perte de vue, celle-ci devient un abri spirituel pour fuir de l'angoisse et des tensions de la vie.
Là où les sentiments s'installent et se perturbent en entendant le grondement de l'eau. Ces sentiments parlent à la mer en racontant son inquiétude et en dessinant ses rêves et son espoir"[5].
Nous trouvons cette image magnifique dans *Le vieil homme de la mer* d'Ernest Hemingway qui raconte le conflit de l'homme avec les forces de la nature par Santiago, le vieux marin. C'est son combat avec la mer et avec la vie.

Alors, qui est l'homme de la mer? Quel est le rôle du vieil homme dans ce combat sur mer? Quels sont les outils de ce combat, ses aventures et ses contraintes? Quel est le résultat et qui est le vainqueur? Et qu'est-ce que ce combat représente?

Donc, dans cette recherche, nous allons voyager sur la mer d'Ernest Hemingway, par son roman *le vieil homme et la mer* pour découvrir l'homme de la mer, ses qualités et sa morale.
Puis nous allons parler de son rêve et de ses outils pour arriver à son

[5]Havington Post*, Le conflit de l'Homme et de la Nature, Le vieil homme et la mer comme exemple*, arabicpost.net, publié à 7/9/2016

but et du combat pour vivre et pour être.
C'est le combat pour avoir le grand poisson en affrontant le destin et la malchance.
Ensuite, nous allons raconter son combat avec les requins pour protéger son poisson et son rêve.
Enfin, nous allons parler de l'aspect philosophique et de la leçon morale de ce combat.

Intérêt général et particulier du choix du sujet:

Dans notre recherche, nous étudions l'influence de la mer sur l'homme physiquement et moralement et nous découvrons le combat avec la mer dans *le vieil homme et la mer* d'Ernest Hemingway, le romancier de la mer. c'est le combat pour vivre, le combat de la vie.
Cette étude permet de poser certaines questions sur l'existence.
En plus, elle est le premier pas pour enrichir le sujet de notre recherche de Doctorat intitulée: La mer est une source de l'imagination et de la pensée humaine.

Originalité du sujet:

Cette recherche nous aide à plonger au fond de l'Homme et comprendre l'esprit humain à propos du conflit de l'Homme avec la Nature pour arriver à son but et pour exister.
D'autre part, les recherches en français qui parlent du combat sur mer dans *Le vieil homme et la mer* sont rares.

Problématique:

Cette recherche vise à obtenir une réponse à la Problématique suivante:

-Qui est l'homme de la mer?

-Quel est le rôle du vieil homme dans le combat sur mer?

-Quels sont les outils de ce combat, ses aventures et ses contraintes?

- Quel est le résultat? et qui est le vainqueur?

-Qu'est-ce que ce combat représente?

1-La mer et l'homme

1-1-L'homme de la mer:

Avant de parler du combat sur mer, il faut mettre l'accent sur l'homme de la mer, le héros de ce combat.

Santiago, le vieil homme pêchait seul dans le Gulf Stream sur son canot depuis quatre-vingt-quatre jours sans avoir pris un poisson. "Il était maigre et hâve, avec de profondes rides dans l'arrière du cou[6]".

Le temps et la mer laissaient leurs reflets sur son corps. "Sur ses joues, les tâches brunes d'un cancer de la peau bénin à cause de la réflexion du soleil sur la mer des tropiques"[7].

"Tout en lui était vieux, sauf les yeux qui étaient de la même couleur que la mer, joyeux et invincibles"[8].

Nous pouvons dire que ces rides et sa vieillesse indiquent sa longue expérience en mer, sa connaissance riche de la mer, des hommes de la mer, de la pèche, des poissons et des êtres maritimes et sa lute pour vivre et pour gagner sa vie.
En plus, ses yeux étaient le miroir qui reflète son esprit, ils étaient clairs et doux comme la surface de la mer. C'étaient la fenêtre qui donne sur ce monde vaste et magique, la mer.

---

[6]Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, traduit par Khaled Haddad, p.5

[7]Idem. p.5

[8]Ibid. p.5

En s'y enfonçant, nous découvrons son propre monde, ses pensées, ses sentiments, ses rêves et ses aventures avec la mer.

2-1-La me, masculine ou féminine:

La mer, que représente-elle pour le vieil homme?
La mer est "une amie calme, sincère, gentille et souriante mais elle devient parfois en colère, dure et cruelle et cela vient si soudainement"[9].
Le vieil homme pense toujours à la mer comme "la mar"[10], il en parle comme d'une femme qui donnait ou retenait ses grands faveurs.
Alors que certains en parlent comme un opposant ou un ennemi.

Donc, Nous pouvons dire qu'en mer il y a toujours de contradiction, c'est l'amie et l'opposante, c'est la jeunesse et la vieillesse, c'est masculine et féminine.

3-1-Le rêve du marin:

Bachelard affirme que l'eau est la source des rêves, "un océan de rêves sur le mol océan des eaux"[11].

Donc, le rêve du marin nait sur l'eau, il rêve d'avoir son grand poisson et il combat pour son rêve en affrontant tous les circonstances et les contraintes.
Il part en cherchant son poisson, son destin et sa chance." Mon gros

[9] Ibid, p.18

[10] Un poisson

[11] Gaston Bachelard, *L'eau et les rêves*, p.178

poisson doit être quelque part"[12].

C'est son combat pour vivre, pour gagner sa vie, pour exister et pour changer son destin misérable.

2- Le combat sur mer:

Pour vivre et pour réaliser son rêve, le vieil homme doit combattre et affronter toutes les difficultés et les dangers.

Il décide donc d'aller au large, "il laissait derrière lui l'odeur de la terre, il ramait dans la fraîche senteur de l'aube sur l'océan"[13].

« Le vieux savait qu'il irait très loin (…) ; chaque coup de rame l'enfonçait dans l'odeur matinale et pure de l'océan » [14].

" Mais maintenant c'est pas le moment de penser au baseball. Maintenant, c'est le moment de penser à une chose: celle pour laquelle je suis né"[15].

Dans son voyage, il ya deux combats principaux. Le premier est le combat noble avec le poisson, cependant, le vieux a de l'espoir, de l'amour, de l'optimisme ,de la confiance et de la victoire.

Le second est avec les requins, c'est un combat injuste et dur, dans

[12] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, p.24

[13] Ibid. p.27

[14] Catherine RÉAULT-CROSNIER, *LE VIEIL HOMME ET LA MER d'Ernest Hemingway*, Éditions France Loisirs, 2012, p.1253

[15] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, *p.41*

lequel, le vieux a du désespoir, de la douleur, du regret, de la malchance, de la faiblesse et de la défaite.

Alors, ces deux combats représentent la vie contradictoire de l'homme ayant de la joie et de la tristesse, de la peur et de la sécurité, de la force et de la faiblesse, de la victoire et de la défaite[16].

1-2-Ses armes:

Ses armes pour le combat étaient très simples. "C'étaient les lignes enroulées sur les reins, la gaffe, le harpon et la voile ferlée autour du mât[17]".

En plus, il a la patience, la persistance, la volonté, la confiance, l'espoir, l'intelligence et la croyance en Dieu. Il fera l'impossible pour arriver à son but[18].

"Je ne suis peut-être pas aussi fort que je le crois. Mais je connais pas mal de trucs, et je suis têtu".[19]

2-2-Le plan du combat:

Le vieil homme a la chance d'attraper un grand poisson, "c'est un vrai poisson, fort et plein de sang, plutôt qu'un dauphin"[20].

Il ne sait pas ce que ce poisson décide de faire. Celui-ci est calme et stable et il continue à nager alors que le vieux est surpris car il est

[16] Hamdi Al Mostafa, *une lecture littéraire dans Le vieil homme et la mer*, publié à 28/3/2020

[17] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, p.48

[18] Mariam Loutfi, *le symbolisme dans Le vieil homme et la mer*, publié à 4/3/2020

[19] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, p.21

[20] Ibid. p.65

plus grand que son bateau.

Cela est improvisé,"s'il saute, il peut le tuer[21]", pour cela, il reste en bas en pensant aux solutions.

Alors, qui emmène l'autre? On ne sait plus mais le vieux veut vaincre pour vivre, manger et prouver qu'il peut encore pêcher. Il veut l'attraper, tout en le respectant[22].

Le poisson n'a pas changé une fois "ni son allure ni sa direction de toute la nuit"[23].

"Il ne peut rien faire de plus avec lui et le poisson ne peut rien faire de plus avec lui"[24].

En effet, le poisson est plus ruse, "elle sait comment il doit mener son combat"[25],plutôt c'est le poisson qui l'emmène.

A ces moments-là, le vieil homme regardait son poisson tout le temps pour être sûr que c'est vrai et il ne lui veut pas de mal.

3-2- L'apparition du poisson:

Le vieil homme souhaite voir son poisson impatiemment, il attend longtemps son apparition et son plan réussit.

"Le poisson remonte, la surface de l'océan a bouillonné et le poisson a paru"[26].

---

[21]Ibid. p.66

[22] Des livres que j'ai aimés/aux éditions France loisirs, 2012 p.1242 à 1318

[23] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, p.49

[24]Ibid. p.50

[25] Ibid. p.52

[26] Ibid. p.69

Il brillait sous le soleil et " son éperon était long comme une batte de baseball[27]".

Puis, il "s'est enlevé de toute sa longueur au-dessus de l'eau puis y est rentré en douceur, comme un plongeur[28]".

Il se demande pourquoi ce poisson saute de cette façon?
Peut être pour lui montrer combien il est grand et lui à son rôle, il espère lui montrer aussi quelle sorte d'homme il est, mais avec sa main bloquée, il n' a contre lui que sa volonté et son intelligence.

4-2-La personnification du poisson:

Nous pouvons dire que le poisson représente la femme pour le vieux, il a envie de le voir, il l'attend, il rêve à le posséder, il l'observe avec admiration, il le suit inconsciemment et sans penser aux résultats.
En plus, il lui donne les caractères d'une femme en le considérant son amour éternel.
Il veux le voir, le toucher et le sentir, c'est son bonheur et son espoir.
Pour cela, il a la peur et la pitié de le tuer et il lui parle tout le temps par un dialogue intime et passionné.

" Si tu n'es pas fatigué, le poisson, tu ne dois pas être ordinaire[29]",
" Tu vas comment, le poisson, demande-t-il à voix haute. Moi je me

[27] Ibid. p.69
[28] Ibid. p.45
[29] Ibid. p.76

sens bien, ma main gauche va mieux, j'ai de quoi manger pour cette nuit et demain. Tire mon bateau, le poisson."[30]

Il est donc soumis à son amour et il fait ce qu'il veut. Cela nous rappelle à la parole de Hanna Mina, "qui aime une femme, il se soumet à elle"[31].
Il ajoute, "Mange-les, poisson. Mange-les. S'il te plaît mange-les. Fais un autre petit tour dans le noir, mais reviens et mange-les"[32] .

Mais, il ne peut pas rester son amoureux, il doit être son ennemi, il est obligé à le tuer et il n'a pas le choix.
S'il continue à le suivre, il va mourir. Pour lui, c'est le combat du destin; la vie ou la mort.

" Mange-le tant que tu veux. Mange-le jusqu'au point où l'hameçon t'arrivera au cœur et te tuera, pense-t-il. Remonte tranquillement et laisse-moi t'attraper au harpon. Très bien"[33].

C'est la contradiction de la mer et de la femme et l'image réduite de la vie, «la femme est la source de la tendresse et de la cruauté et la mer est pure, impure, amie et ennemie[34]» .

Maintenant, le vieux est épuisé ; il attend la fin puis veut encore lutter :« Tu veux ma mort, poisson, (…). C'est ton droit. (…) Allez,

[30] Ibid. p.84
[31] Ibid. p.13
[32] Ibid. p.43
[33] Ibid. p.49
[34] Ibid. p.38

vas-y ; tue-moi. Ça m'est égal lequel de nous deux qui tue l'autre. (…) Voilà que je déraille. Faut garder la tête froide »[35].

Donc, nous pensons que ce combat est juste car les deux cotés sont respectueux, malgré que le vieil homme tue le poisson, il l'aime, il le respecte, il l'admire et il désole en lui disant "Je te fais mes excuses, le poisson[36]".

5-2-Le combat avec le requin:

Après sa victoire dans son combat avec le poisson, un nouveau combat va commencer avec le requin sentant l'odeur du sang. Malheureusement, c'est un gros requin qui ne connait pas la peur, il attaque son gros poisson.

Le vieil homme essaie de le protéger, il le frappe par son harpon de toute sa force mais sans espoir. Il le tue mais il n'ose plus regarder le poisson car il est trop endommagé.

Alors, il est heureux d'une joie naïve, ne prévoyant pas qu'il va attirer les requins[37] ».

Il est trop vieux pour tuer un requin à coups de gourdin. Mais il essayera, aussi longtemps qu'il aura les avirons, le gourdin et la barre.

Malgré tout, il n'est pas désespéré et il dit que "l'homme n'est pas fait pour la défaite. L'homme peut être détruit, mais pas vaincu[38]".

Mais qu'est-ce que peut faire un homme contre eux, dans le noir,

[35] Réault Crosnie , *LE VIEIL HOMME ET LA MER d'Ernest Hemingway*, p. 1296

[36]Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, p.128

[37] Réault Crosnie , *LE VIEIL HOMME ET LA MER d'Ernest Hemingway*

[38]Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*,p.76

sans même une arme?
Enfin un dernier s'attaque à la tête et c'est la fin.
Par conséquence, le marin a échoué dans ce combat, mais cela ne bloque pas sa patience, il lutte, résiste et combat jusqu'à la fin.

3-Invitation à penser:

1-3-Le péché:

"Mais je dois penser", il répète cette phrase plusieurs fois parce que c'est tout ce qu'il lui reste.
Le vieil homme pense au péché, est –il un péché de tuer ce poisson? Mais c'est pour l'aider à vivre et à nourrir.
Il a presque des remords de conscience au sujet du poisson. Il ne tue pas un poisson seulement pour rester en vie ou pour vendre la chair, il le tue parce que c'est une proie et il est un pêcheur et c'est la loi de la Nature.
Il aime le poisson quand il était en vie et il l'aime encore après sa mort."Si tu l'aimes, ce n'est pas un péché de le tuer. Ou bien c'est encore plus un péché?[39]" demande-t-il.
Il réussit enfin, l'exploit d'harponner cette bête plus grande que sa barque. Il amarre le poisson contre le flanc de son navire. Il respecte ce corps mort et a encore la force de l'humour : « Mais j'ai tué ce poisson qui était mon frère et maintenant, je dois faire toutes les corvées[40]".

[39] Ibid. p.77
[40] Ibid. p.69

Le vieil homme a tué aussi le requin. Est-ce qu'il a plaisir à le tuer? Ce n'est pas un charognard, ni un estomac ambulant comme certains autres requins. Il est beau et noble et il ne connaît pas la peur. Mais il l'a tué en état de self-défense et pour sauver son cher poisson et son rêve.

Par conséquence, tout être en tue un autre, de quelque façon que ce soit et cela garde le vieux en vie.

2-3-La chance:

Le marin réfléchit en philosophe, en regardant une fauvette à bout de forces, qui se pose à l'arrière de sa barque. "Tout le monde a sa chance, les hommes, les oiseaux, les poissons? » [41]

Est-ce que ce vieil homme a de la chance? Pourquoi il n'a pas eu un peu de chance?
"Je devrais avoir un peu de chance"[42], il a contrarié sa chance quand il a décidé de partir trop loin au large.
Il croit que la malchance est la seule cause de la défaite[43] et ce serait bien qu'on puisse acheter de la chance, s'il y a un endroit où se vend.
Donc, il a essayé de l'acheter par ses quatre-vingt-quatre jours en mer.

[41] Catherine RÉAULT-CROSNIER, *LE VIEIL HOMME ET LA MER d'Ernest Hemingway*, p.1271

[42] Ernest Hemingway ,*Le vieil homme et la mer*, P.135

[43] Mazna Hasnawi, *Le vieil homme et la mer*, comment un roman peut-il justifier la colonisation et la domination? Publié à 12/7/2019

3-3-La douleur

"Ay" l'homme dit à voix haute. Il n'y a pas de traduction pour ce mot, et peut-être qu'il s'agit seulement d'un bruit tel que l'homme peut en émettre, involontairement, sentant le clou qui lui traverse la main et s'enfonce dans le bois.

L'amour du vieil homme pour la mer persiste au-delà de sa fatigue croissante et des bonds du poisson.
Son corps s'use ; il se blesse mais n'y prend pas garde : « il se fendit la joue au-dessous de l'œil. (…) » 44 « (…) sa main droite était tout ensanglantée». « (…) il avait mal, ce qu'il se refusait à admettre » 45, « Sa main gauche était insensible. De toute la force de sa main droite, il freina la fuite du fil. (….) ce furent alors son dos et sa main gauche qui subirent la morsure de la corde ; (…). 46».

Ce vieux pêcheur ne désespère jamais contre vents et marées, qui garde son amitié pour l'enfant qu'il a aidé puis qui l'a secouru dans son grand âge.
Dans cet ode initiatique, éloge du respect de toute vie, peu importe qui gagne. Seuls comptent l'espoir qui fait encore vivre, la fidélité qui défie le temps et les déchéances, l'amour qui transperce la mort.

---

[44] Catherine RÉAULT-CROSNIER, *LE VIEIL HOMME ET LA MER d'Ernest Hemingway*, p.1269

[45] Ibid.p.1277

[46] Ibid. p.1289

4-3-La philosophie du combat sur mer:

Le combat sur mer représente la défaite matérielle et la victoire morale de l'homme, c'est l'histoire de la vie et de la mort.
Il symbolise la vie ayant ses difficultés, ses guerres et ses désastres imprévoyants(les requins)[47].
C'est le conflit de l'homme avec le sort, ce vieux ayant la volonté, la persistance et la lutte pour arriver à son but.
celui-ci décide d' affronter seul les forces de la Nature et les ennemis.
Il veut nous dire que la force de l'homme est sans frontières et qui veut, il peut.

Nous pouvons dire aussi que la mer est le symbole de Cuba, ce pays riche par ses sources, mais il a des circonstances difficiles car il a l'ignorance, la faim et la pauvreté.
En plus, le corps épuisé du vieux, son espoir et sa résistance est le symbole du peuple cubain et sa lutte contre la colonisation américaine par ses armes simples. Tandis que les requins représentent L'Amérique ayant de l'argent et des armes qui exploite les trésors du pays sous prétexte de la paix[48].

[47]Havington Post, *Le conflit de l'Homme et de la Nature, Le vieil homme et la mer comme exemple*, arabicpost.net, publié à 7/9/2016

[48]Mazna Hasnawi, *Le vieil homme et la mer*, comment un roman peut-il justifier la colonisation et la domination? Publié à 12/7/2019

Conclusion:

Pour conclure, nous pouvons dire que *Le vieil homme et la mer* représente le conflit entre l'homme et la vie et la solidité de l'homme devant ce conflit éternel.
Cet homme stable combat de toute sa force pour la résistance devant les vagues qui le frappent.
C'est le conflit renouvelée entre l'homme et les forces de la Nature mystérieuse représenté par Santiago, le vieil homme et son combat avec les requins sauvages et sa grande poisson.
Il montre la force de l'homme, la sacrifice, l'insistance pour atteindre son but et détruire les forces du Mal.
Après sa rentrée chez-lui, il reprend sa force et son espoir et décide avec le garçon de naviguer de nouveau et de continuer son combat avec la vie et avec le destin.
Il a perdu la première partie du combat mais il a pris des leçons et de la sagesse.
En effet, ce combat lui apprend une leçon très importante, c'est la résistance et la persistance, au début, il pensait à la quantité de la viande et de l'argent, mais ce désir finit devant celui de la vie.

Le vieil homme n'est pas l'histoire d'une personne dans un lieu et un temps déterminés, c'est l'histoire de tout homme, de tous les lieux et de tous les temps.
C'est l'histoire de la mer, l'histoire de la vie dont les événements se répètent comme les vagues de la mer en mouvement perpétuel.
C'était son propre combat, c'était sa vie et son destin.

Bibliographie:

En français:

-Bachelard Gaston, *L'eau et les rêves,* Librairie José Corti, II rue de Médicis. Paris-VI.

-Hemingway Ernest,*Le vieil homme et la mer*; traduit par Jean Doutourd, édition Gallimard 1952.

- RÉAULT-CROSNIER Catherine, *Le vieil homme et la mer d'Ernest Hemingway.* aux Éditions France Loisirs, 2012

En arabe:

-ارنست هيمنغواي، *العجوز و البحر*، ترجمة خالد حداد-

-حنا مينا،*حكاية بحار*، دار الاداب بيروت، شباط، **1981**

مقالات:

-حمدي المصطفى، *قراءة أدبية في قصة العجوز والبحر*، نشر في 2020 /3/28

-مريم لطفي، *الرمزية في رواية الشيخ والبحر*،نشر في 2020/3/4

-مزنة حسناوي، *الشيخ والبحر" .. كيف يمكن لرواية أن تبرر الاستعمار والهيمنة؟* نشر في2019/7/12

-ميسم نجار، *االشيخ والبحر..صراع الانسان ضد الهزيمة*،نشر في 2015/10/29

-هافينغتون بوست، الصراع بين الانسان والطبيعة..رواية البحر والعجوز انموذجا، نشر في 201/9/7

البحر و المرأة في أدب حنا مينا

اعداد نعمت مهرات[1] اشراف ا.د.زبيدة القاضي[2]

ملخص البحث:

البحر هو مساحة للحرية والحب والخيال والحلم والعواطف والجمال.

منذ قرون، لم يتوقف البحر عن الهام الكتاب في كل مكان.

المرأة بحر والبحر امرأة. هما في نفس الوقت صديقان حميمان ، رقيقان وقاسيان ، جميلان وقبيحان ، مخلصان وغادران.

سنتكلم في بحثنا عن دور البحر في الالهام وتخيل المرأة، و عن نماذج المرأة التي يوحي بها البحر في رواية حنا مينا.

فالبحر هو الأم بما تحمله من مشاعر الحب والحنان والنبل.

والبحر هو عروس البحر التي يبحث عنها البحار دائمًا.

و البحر هو المرأة ، الحبيبة الخيالية أو الحقيقية التي يحتاج اليها البحار في رحلاته الطويلة في البحر.

و سنتحدث أخيرا عن معركة البحار مع المرأة التي تمثل معركته مع البحر والحياة.

كلمات مفتاحية:

البحر، المرأة، البحار،المعركة، عروس البحر، الحلم.

[1] طالبة دكتوراه في جامعة حلب كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة الفرنسية

[2] استاذة في جامعة حلب كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة الفرنسية

La mer et la femme dans la littérature de Hanna Mina

"Une étude présentée par **Neimat Mouhrat**[3] sous la direction de **Dr. Zoubeida AL Kadi**[4] "

Résumé:

La mer est une espace de liberté, d'amour, d'imagination, de rêve, de passions et de beauté.

Depuis des siècles, la mer n'a cessé d'inspirer les écrivains dans tout le monde. La femme est une mer et la mer est une femme. Elles sont à la fois des amies intimes, douces et dures, belles et laides, fidèles et traitresses.

Dans notre recherche, nous allons parler du rôle de la mer qui suscite l'imagination de la femme et des modèles de la femme dans le roman de Hanna Mina.

Tout d'abord, la mer est la mère de tous ses sentiments d'amour, de tendresse et de noblesse.

Puis c'est la Sirène que le marin cherche toujours en mer.

Ensuite la mer est la femme, c'est l'amante rêvée ou réelle dont le marin a besoin pendant ses longues voyages en mer.

Enfin, nous allons parler du combat du marin avec la femme. C'est son combat avec la mer et la vie**.**

Mots clés:

La mer, la femme, le marin, le combat, la Sirène, le rêv

[3]Etudiante de Doctorat à l'université d'Alep à la faculté des Lettres, du département du français.

[4]Professeur du français à l'université d'Alep à la faculté des Lettres, du département du français.

Introduction:

La mer est une espace de liberté, d'amour, d'imagination, de rêve, de passions et de beauté.

Depuis des siècles, la mer n'a cessé d'inspirer les écrivains dans tout le monde.

En littérature arabe, Hanna Mina, le romancier de la mer, adore la mer à la folie. C'est son inspiratrice qui éclate sa poétique et son génie romantique.

"Qui lit un seul roman de Hanna Mina, sait que la femme et la mer vont de pair et que ces deux termes se répètent beaucoup"[5].

La femme est une mer et la mer est une femme. Elles sont à la fois des amies intimes, douces et dures, apprivoiseuses et apprivoisées, belles et laides, fidèles et traitresses, vastes et serrées.

Qu'inspire-t-elle- la mer? Quel est le rôle de la mer dans l'imagination?

Comment la mer inspire-t-elle la femme? Quelles sont les modèles de la femme dans le roman de Hanna Mina?

Pour répondre à ces questions, nous proposons de faire une étude analytique de L'Histoire d'u Marin de Hanna Mina.

[5] Hikmat Al Nawaïsa, *la mer et la femme dans le roman de Hanna Mina*, le journal d'Al Raï, publié à 28/9/2014

Intérêt général et particulier du choix du sujet:

Dans notre recherche, nous étudions l'influence de la mer et son rôle dans l'imagination de la femme et l'image de la femme dans *L'Histoire d'u Marin* de Hanna Mina puisque il est le romancier de la mer.

En effet, cette étude est le premier pas pour enrichir le sujet de notre recherche de Doctorat intitulée: La mer est une source de l'imagination et de la pensée humaine.

Originalité du sujet:

Plusieurs chercheurs parlent du sujet de la mer dans les œuvres de Hanna Mina en arabe, mais il n'y a pas de recherches en français concernant ce sujet.

Problématique:

Cette recherche vise à obtenir une réponse à la problématique suivante:

-Qu'inspire-t-elle la mer? Quel est le rôle de la mer dans l'imagination?

-Comment la mer inspire-t-elle la femme?

-Quelles sont les modèles de la femme dans *L'Histoire du Marin* de Hanna Mina?

1-La mer est la source d'inspiration:

La mer pour Hanna Mina est un élément important car c'est le guide le plus fort et le plus riche, c'est l'écriture et le symbole de la vie, le champ du conflit, la source de l'inspiration de ses œuvres.
Il dit : "la mer est la source de l'inspiration et la plupart de mes œuvres est mouillée de l'eau de ses vagues bruyantes[6]"

1-1-La nature maritime et son apport à l'imagination:

L'eau, le sable, l'air et la nuit suscitent toujours l'imagination de la femme.
"L'eau grise s'étend loin, les vagues se poussent et laissent sur la plage des dessins d'écume en se retirant. Elles ont accompli la mission, elles embrassent la terre du fond, à un mouvement continue[7]".
Cette image magnifique affirme l'harmonie de l'eau et de la terre, leur union et leur relation éternelle. C'est le symbole de la vie et du temps qui ne s'arrêtent pas.
"Sa main jouait au sable. C'est un chapelet[8]".
En effet, le marin sent le sable comme s'il était le corps d'une femme. Il est doux et chaud. Sa chaleur est délicieuse et elle en donne à son cœur glacé.
Mina dit que "le sable est comme le feu, comme le vin, il a sa parole

6 Hanna Mina, *le roman et le romancier*, 1ère édition, maison de la recherche, Ministère de la Culture, Damas, 2004, p.21

[7] Hanna Mina, *L'histoire du marin*, maison des Lettres, Bayrout, février 1981, p.220

[8]Idem, P.39

et que c'est l'ignorant qui ne sait pas la parole du sable"[9], et que les cheveux de la femme sont un chapelet aussi.

Il ajoute que la marche lente du marin sur la pate du sable provoque des sentiments, elle berce ses douleurs et ses émotions.

2-1-L'inspiration sensuelle de la mer:

L'eau est la source des rêves, Bachelard affirme cette idée en disant: "un océan de rêves sur le mol océan des eaux"[10].

La mer suscite l'imagination du marin et elle inspire une femme.

"A l'exil maritime obligatoire, la femme est l'amour éternel du marin, qui se rappelle à la terre"[11].

Donc, la mer représente la femme qui est la source du repos, de stabilité, de la sécurité, de la chaleur et de la tendresse.

Elle lui donne de l'espoir et de l'amour. C'est son amie fidèle pendant ses longues voyages en mer et c'est la terre à laquelle il aspire l' atteindre.

Pour Hanna Mina, la vie est la femme qui peut attirer son attention en disant :« La vie est la femme qui peut m'influencer, non pas dans son image éteinte, mais l'image brûlante, dans la femme dans la mer, dans la forêt et dans l'aventure dangereuse[12]".

C'est le plaisir du marin, celui qui connait le péché et le mal, le danger et l'errance dans le désert de l'eau et de la faim sexuelle qui ronge

[9] Ibid, p.39

[10] Gaston Bachelard, *L'eau et les rêves*, p.178

[11] Hanna Mina, *L'histoire du marin*, p.86

[12] Nazih Khoury : *du séminaire critique et honorifique pour le génie Hanna Mina*, Publications de l'Autorité publique syrienne du livre, Damas, 2010,p. 69

l'esprit, il ne résiste pas devant sa charme. Et quand il est dans les bras de la femme,"c'est un mélange de tous ces sentiments qui visent à étancher sa grande soif[13]".

"Quel plaisir ayant l'homme quand il a une femme nue mettant son bras sous sa tête, dans la tente submergée de la lumière argentine[14]" C'est son paradis désiré que l'homme cherche toujours en cette mer vaste et mystérieuse.

3-1-La corrélation de la femme et la mer:

La femme est visage de la mer et la mer est le visage de la femme , c' est un monde difficile à définir, comme la mer.

Elle est la source de la tendresse et de la cruauté et "la mer est pure, impure, amie et ennemie[15]» .

Cela veut dire que la mer et la femme sont les deux côtés d'un seul défi devant le marin.

Pour cela, ils représentent la contradiction, ils ne se rencontrent pas, car voyager dans la mer prive de la femme, ce qui le met dans un désir constant de la terre qui signifie pour lui la femme, et son départ de la mer qui représente la femme difficile.

Alors, la mer et la femme ont le caractère d'ambiguïté et de confidentialité, une caractéristique de la mobilité et de l'agitation.

La connaissance de la femme est la connaissance de la mer, l'ignorance de la femme est l'ignorance de la mer et l'échec en mer

13 Hanna Mina, *L'histoire du marin*, p.87

14 Ibid. p.55

15 Ibid. p.38

est un échec avec la femme, ce qui suggère l'union de la femme avec la mer.

Par conséquence, la mer et la femme s'accordent sur les caractéristiques qui sont la source du désir pour les hommes.

2-Modèles de la femme qui est associée à la mer:

En effet, il y a de nombreuses modèles de la femme dans le roman de Hanna Mina, c'est la mère combattante, parfois c'est la femme inspiratrice, soit l'amante réelle ou la Sirène imaginée.

1-2-La mer est la mère:

Des quatre éléments, il n'y a que l'eau qui peut bercer.
"C'est elle l'élément berçant. C'est un trait de plus de son caractère féminin: elle berce comme une mère[16]".
L'eau nous porte, l'eau nous berce, l'eau nous endort. L'eau nous rend notre mère. Etre bercé sur les flots est, pour un rêveur, l'occasion d'une rêverie spécifique, d'une rêverie qui s'approfondit en devenant monotone.
Donc, la mer inspire la mère de tous ses sentiments d'amour, de tendresse et de noblesse.
Quand le marin dort sur le sable, il sent la chaleur du sein de sa mère, la tendresse, la stabilité, la force et la sécurité.
Dans *L'histoire du marin*, le marin reprend en insistance les parties de l'image et il en compose les caractéristiques de la mère qui est déjà

[16] Gaston Bachelard, *L'eau et les rêves*, p.177

restée à coté de lui en lui discutant comme s' il était au passé, quand son visage était le plus beau tableau, et son sein était le meilleur oreiller.

Même quand il ouvre les yeux, les effets du rêve restent sur ses lèvres.

Il imagine que sa mère est près de lui, qu'il peut lui parler ou la toucher, et que tout mouvement va la rendre aliéné dans le néant, d'où elle est sortie.

Enfin, il préfère se coucher sur le sable, à la lumière de la lune, à la douceur des vagues , près des écumes blancs dont sa voix est une musique douce, suggestive et berceuse.

2-2-La Sirène:

Le marin cherche toujours la femme en mer, en contemplant son eau bleue et vaste, en respirant son odeur et en touchant son sable tendre et dur, chaud et froid.

C'est une femme imaginée ou réelle selon ses circonstances et ses besoins. C'est la Sirène, le rêve de tous les marins.

"Dans la mer, il y a un poisson avec une tête humaine, on l'appelle la Sirène"[17].

Nous ne pouvons pas voir la Sirène aux profondeurs. On a dit qu'elle suit les navires à la lumière de la lune et qu'elle reste derrière les navires qui ont travaillé longtemps.

En effet, la Sirène adore un homme, une nuit, elle sort de l'eau et

17 Hanna Mina, *L'histoire du marin*, p.11

elle marche sur la plage ou elle s'allonge sur le sable pour dormir. Quand le soleil se lève, elle devient incapable de se remuer et de revenir à l'eau, alors, les chasseurs la pèchent.
Elle les fascine, ils ont peur pour elle et ils lui offrent de leur vie si elle en demande. Sa condition du mariage est "le départ du chasseur au royaume de son père aux profondeurs de la mer, s'il refuse, elle le quitte, mais elle ne l'oubliera pas, et dans les nuits de pleine lune, elle ressort en portant une poignée de perles"[18].

"Qui aime une femme, il se soumet à elle[19]" et qui aime la Sirène, il ne lui nuit pas, mais il la retourne à la mer selon sa demande.
Et elle n'oublie pas cela.
"Le poisson est fidèle, plutôt elle est plus fidèle que l'homme"[20].
Qu'adore-t-elle ? elle adore sa jeunesse, car l'homme est la créature la plus belle dans sa jeunesse.
Est-ce que ce marin a vraiment vu la Sirène? A-t- il l'adorée?
Il reconnait en lui-même: "Oui, j'aime la Sirène, mais elle n'est pas comme celle ayant la tête d'une femme et la queue d'un poisson, c'est une vraie femme, et un jour, elle ressortira de la mer, tel qu'elle a fait ce jour-là[21]".

[18] Ibid. p.13
19 Ibid. p.13
[20] Ibid. p.13
21 Ibid, p.14

3-2-La mer est la femme:

Dans une ambiance maritime magnifique où le soleil doré se glisse à l'horizon, la lumière charme de la nuit couvre la terre et l'air doux porte l'odeur fraiche de la mer, la mer inspire une femme.
Le marin croit que la mer lui dédie cette femme car elle est son amour et sa vraie amie.
«c'est mon amour, ce bleu immense est mon amour, c'est la source du bien, l'étang et la femme que j'aime et celle que j' aimerais toute ma vie"[22] .
Après un soupire amèrement, il ajoute: «Je l'ai aimée, j'ai tourmenté à l'amour avec elle, et j'ai enduré la nostalgie et la privation, malgré tout, je suis resté incapable de l'oublier[23]".
Cela se passe vraiment quand il s'allongeait seul sur la plage, la nuit était éclairée par la lune et les étoiles étaient des lampes étincelantes et dispersées.
A ce moment là, l'écume formait une mousse blanche et dentelée sur le sable, le murmure des vagues jouait de la musique douce,
et la douceur de la nuit cause le plaisir.
Donc le marin décrit la femme en disant: "Elle était vêtue d'une tunique blanche, elle avait des épaules nues et roses, des jambes d'albâtre, et une stature imposante, une haute tête dont les cheveux volant à l'air. Elle était belle au point qu'on n'ose pas la toucher pour ne pas déranger cette harmonie divine dans sa taille"[24]

22 Ibid, p.14
23 Ibid, p.14
[24] Ibid. p.14

Il n'a pas de patience, les yeux se sont rencontrés, il marche comme un somnambule et quand il veut l'atteindre elle a disparu.
A ce moment-là, la mer était vaste en face de lui.
Ceci est son monde et le foyer de sa jeunesse.
Enfin, Il s' allonge sur le sable devant la tente, il regarde la surface de l'eau étincelante et il se repose en écoutant la mélodie monotone de la vague.

3-Le combat avec la femme:

La femme et la mer sont l'outil à atteindre la masculinité et l'héroïsme, qui est au centre du roman de Hanna Mina.
En effet, le marin qui a la force, la noblesse, le courage, la stabilité, l'habileté et la virilité, il connait bien la valeur de la femme qui connait aussi la même valeur.
Il demande de Dieu de ne pas tomber à la tentation de la femme.
Son combat devient donc avec la femme, ce n'est pas de rêve, c'est une femme réelle. C'est une femme charmante et si séduisante.

Dans *L'histoire du marin* de Hanna Mina, il présente un exemple de "la femme étrangère"[25] et sensuelle qui a la beauté et le charme.
Il est confiant, apathique, rempli de foi et de fierté, mais elle a de la séduction émise par son corps par ses yeux, ses lèvres et sa voix.
Il sent la crainte et la faiblesse, cette crainte détruit l'auto-immunité en lui et il s'approche de chute, en raison de ce déséquilibre interne.
Alors, il décide d'échapper mais elle pousse le flux de sa propre tempête contre ce marin expert et elle a toute la confiance à son

[25] Dr. Ibrahim Khalil, *La femme dans le roman de Hanna Mina*, publié à 18/9/2018

courant, non le courant de la rivière, et non le flux de la mer.
Elle décide de le pêcher malgré sa capacité et son expérience de pêcher les femmes à travers le bloc, l'indifférence et le strict respect.
Grâce à sa longue expérience, elle est confiante de sa compétence du jeu commun femme-homme. Elle veut le séduire et elle a la certitude de la réussite plus tard.
En effet, il connaît sa force et son influence, il affronte le courant de la rivière avec toute sa violence et il résiste à la tempête avec toute sa force et sa puissance.
Cependant elle continue de filer le cocon qui les unira ensemble.
Elle essaie de le séduire en montrant sa poitrine, ses cuisses blanches, son genou rempli d'excitation, et ses mots portant la signification du sexe. C'étaient des moments de peur, de tension et d'excitation.
Quel malheur et quel plaisir! Quelles émotions contradictoires et quel danger, quand il est sur le bord, à la frontière de la vie et la mort, entre l'espérance et le désespoir, en frissonnant de la tête aux pieds et en attendant le moment décisif.

Ce combat décide de son sort, monter ou descendre, quitter la vie ou l'embrasser, avoir le plaisir ou l'échec, la honte et l'amertume de ses actes scandaleux.
Le marin est perdu totalement, la mort devient très délicieuse avec elle.
Il ne pense ni à la mort ni au prison ni à la honte ni aux avertissements de la capitaine. Il ne sent ni le temps ni le lieu .
"Il frisonne et il ferme les yeux, il accepte, il refuse et il plonge de plus

en plus à la mer de son amour [26]".

Enfin, elle décide d'adresser le coup final. Tout est prêt dans son corps pour se battre avec une femme sensuelle, et tout à ses yeux et ses mains prêtes à se battre avec tout homme opposé à sa libération, et son cœur courageux seul garantit la victoire.

"Elle est sensuelle comme le poisson du printemps[27]", elle a patienté longtemps, et elle veut maintenant la récompense.

Par conséquent, le marin ne peut pas résister, il est vaincu, c'est la victoire de la femme.

Son arme est plus dangereux que sa sagesse, sa force, son expérience et sa stabilité.

Alors elle a une grande influence sur ce marin en occupant sa pensé et son attention. Il était distrait et il en souviendra à chaque instant avec tous ses détails, quand il est derrière le gouvernail ou couché sur son lit sous la lune.

Son bonheur sur le bateau est extraordinaire. Il sent qu'il est né à nouveau, qu'un âge supplémentaire était écrit pour lui et que la vie est belle et merveilleuse.

Il sent que la mer sourit pour lui et qu'il a la bonne chance ce jour là.

En plus, il est obligé de vivre une vie de deux faces, apparemment, il est respectueux et noble pour ne pas perdre son prestige, et en secret, il suit son désir et son envie pour la femme.

Conclusion:

26 Hanna Mina, *L'histoire du marin*, p.188

[27]Ibid. p.199

Pour conclure, nous pouvons dire que la femme et la mer représentent une question littéraire essentielle pour Hanna Mina, et l'amour est un lien humain ayant le respect et la noblesse pour les femmes, " ceux qui disent le contraire, ils n'ont pas lu mes livres[28]".

Il n'est pas un écrivain sexuel car la femme est plus généreuse que cette vision sexuelle, "elle est l'amour, elle n'est pas facultative ,c'est l'essence et l'un des fondements de l'existence[29]" .

En plus, il nous donne un exemple du marin qui a une expérience dure avec la mer, la femme et avec la vie.

Pour lui, la mer est la femme, c'est la Sirène imaginée, l'amoureuse réelle et la mère tendre.

Par conséquence, le marin ne peut pas vivre sans la mer ou sans la femme, mais il choisit enfin de vivre avec la mer en demandant de la femme de ne pas détruire sa solitude et son union avec elle.

"La femme avec la mer est superflue.[30]" "La mer sans la femme est moins.[31]"

Alors, la fidélité et l'amour éternel restent pour la mer seulement, c'est son amour, son amie, sa femme et sa mère.

" De la mer à la mer, de la femme à la mer, les deux me tiennent, mais je lui donne le reste de mon âge[32]".

Enfin, nous découvrons que la mer est son choix et son sort qui lui

[28] Hana Mina, *Dialogues et Conversations dans la vie et l'écriture du roman,* p. 74

[29] Nazih Khoury : *du séminaire critique et honorifique pour le génie Hanna Mina,* Publications de l'Autorité publique syrienne du livre, Damas, 2010,p. 215-216

[30] Hanna Mina*, L'histoire du marin*, p.45

[31] Ibid, p.45

32 Ibid, p.43

donne de la force, de l'espoir, de la sagesse, de la patience, de l'amour, de la joie et de la vie.
Son combat avec la femme est son combat avec la vie, mais il ne peut pas résister devant les tentations de la femme et elle est le vainqueur dans ce combat.

La bibliographie

En français:

-Bachelard Gaston, *L'eau et les rêves*, Librairie José Corti, II rue de Médicis. Paris-VI.

En arabe:

-حنا مينا، *الرواية والراوي*، ط1، دار البحث، وزارة الثقافة، دمشق، 2004

-حنا مينا،*حكاية بحار*، دار الاداب بيروت، شباط 1981

-حنا مينا: *حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية*، ط1 ،دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، 1992

-نزيه خوري: *وقائع الندوة النقدية التكريمية للمبدع حنا مينا*، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010

مقالات:

-د. ابراهيم خليل، *المرأة في روايات حنا مينا من 1960-1993*، نشر في 20018/9/14

حكمت النوايسة، *المرأة والبحر في روايات حنّا مينا.. جدّية البحث والتقصي* » نشر في28 /2014/9

جمالية المأسوي في شعر نسيب عريضة

طالبة الدكتوراه: همسه برهان عباس
كلية الآداب – جامعة البعث
اشراف الدكتور: نزار عبشي

ملخص عربي

تبحث هذه الدراسة في مفهوم المأسوي بوصفه قيمة جمالية وفق نظريات علم الجمال ، فهو يرتكز على مضمون الحزن والألم و التفجع و والشعور بالإحباط و اليأس جراء المواقف النفسية للشاعر إزاء الفقد والرحيل وعذابات الحياة ومشاقها ، و تستقصي هذه الدراسة هذا المضمون في موضوعات شعرية أنشأها نسيب عريضة تتمركز حول الرثاء، والحيرة ومكابدة مشاق الحياة و الغربة والاغتراب و الحنين والشوق إلى الأهل و الديار، واعتمدت هذه الدراسة منهج الاستقراء في بيان قيمة المأسوي وتطورها التاريخي في الفكر الجمالي ، واستقصاء مظاهر المأسوي الحسية والمعنوية في شعر نسيب عريضة، ثم تعتمد المنهج التحليلي الوصفي في دراسة تجليات المأسوي في شعره من منظور جمالي.

* ABSTRACT *

This study is discussing the tragic concept as an aesthetic valve according to theories of aesthetic . It is based on the content of sadness , pain, mourning , feeling frustrated and hopeless due to the port's .

Psychological attitudes . towards life's torments and hardships this study investigates this context in poetry topics that Nassib . Arida Created. It centers around mourning, confusion , struggling .

With the hardships of like, Alienation and nostalgia for.

Families. And homes . this study adopted an inductive approach in explaining the tragic value and its historical development in aesthetic thought and the investigation of its aspects of the tragic .

Sensory and moral in the poetry . Of Nassib Arida It adopts the analytical descriptive that is consistent with aesthetic thanes artistically and intellectually .

المقدمة

شكلت تجربة نسيب عريضة ظاهرة شعرية متفردة في إبراز الإحساس المأسوي بمكابدة الحياة وقضاياها ، واتسمت شعريته بالمأسوية وانطبعت بالاستغراق في الحزن والألم والتشاؤم، فهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مفهوم قيمة المأسوي في الفكري الجمالي عند منظري علم الجمال ، و دراسة تجلياتها في أشعاره نسيب عريضة التي تمحورت حول الفقد والرثاء و الحيرة وعذابات الحياة و الغربة والاغتراب و الحنين والشوق إلى الأهل و الديار، إذ ارتكزت هذه المضامين على إبراز الشعور بالحزن والألم والأسى ،وإبداع صور التفجع واللوعة اليأس و الإحباط ،وهذا ما جعلها تجسد مظاهر قيمة المأسوي المعنوية والحسية ومعاني مكوناته الجمالية، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في تأصيل مفهوم القيمة الجمالية للمأسوي ، والمنهج التحليلي الوصفي في الكشف عن مضمونها في شعر نسيب عريضة. و سنفصل ذلك فيما يأتي :

المأسوي في التفكير الجمالي :

المأسوي قيمة جمالية عريقة في الأدب و الفن عراقة الحياة ذاتها فهو في جانب رئيس منه ينشأ من الألم والحزن الناتج عن الغياب و الفراق والفقد والرحيل ، وفي جانب آخر هو تجليات الشعور بالإحباط والخذلان و الأسى ، وتتعد صور الشعور بالمأسوي بتعدد مواقف الألم في الحياة، وهو بعرف منظري علم الجمال " القيمة الجمالية الناجمة عن الشعور بالإحباط ، وعن الصراع بين القبح و الجمال ،و التفاهة ،و الجلال و الوضاعة و السمو، و في المسافة الوجودية الفاصلة بين ما هو كائن ، وما ينبغي أن يكون .[1]

و القيمة الجمالية للمأسوي تتجلى بصراع الإنسان ضد قوى قاهرة ، وهو عراكاً يخوضه " كائن يعتقد أنه حر ،ضد جبرية خارجية لا مفر منها ولا راد لها[1].

ربط علماء الجمال ظهور مفهوم المأسوي بالمسرح اليوناني الذي قام على فكرة الصراع في الحياة مع قوى تواجهه ومنها أقداره ، فالمأساة تجلت بالصراع " بين قوى ذات أهمية عامة مصيرية ، وجودية أو تاريخية عالمية، ويختم فيها هزيمة وإخفاق الإنسان [2] . وانطلق علماء الجمال من تأسيس المفهوم الجمالي المأسوي من التراجيديا اليونانية، فربطوا مفهومه الجمالي، بالبنية الدرامية للتراجيديا فافترضوا أن المأساة " تنتهي نهاية محزنة وغالباً ما تتجسد النهاية بالموت الجليل، إلا أنها لا تولد لدى المتلقي شعور الألم والخوف ، والحزن الحقيقي ، بل تحركه ، تهزه وتعمق وعيه ،وتنقي عواطفه [3]

وهذا الفهم يشترط عناصر التراجيديا ومنها البطل الجليل الذي يقهر ، لكن هذا الافتراض ، يضيق حقيقة القيمة الجمالية للمأسوي في الحياة و الأدب و الفن ، فموت الطفل مأسوي ،لكن الطفل ليس البطل التراجيدي ، وتجريد أفق المأسوي في الأدب و الفن من صور التي لا تنطوي على البطل التراجيدي ، تضييق شديد المبالغة والتناقض مع الوقائع في الحياة وتجلياتها في الأدب و الفن ، فغالباً ما نجد على سبيل المثال من اشترط البطل التراجيدي ينحو في دراساته التطبيقية لقيمة المأسوي في الأدب إلى دراسة نماذج مثل رثاء الابن والأم و الجدة و الحبيبة [4]، وهذا يعني المأسوي أوسع من ربطه ببطل تراجيدي وهو أشمل ، وهو تجليات أحوال الحزن و الأسى إذ " تطلق صفة المأسوي على كل أمر مفجع محزن.. كما أن صراع الإنسان مع الحياة وتناقضاتها ومحاولته التغلب عليها

1 - علاقة الفن الجمالية بالواقع : ن. غ. تشرنيشفسكي، تر: د. يوسف حلاق ، وزارة الثقافة، دمشق، 1983 ،ص: 56.

2 - علم الجمال، نايف بلوز، ط2، منشورات جامعة دمشق، المطبعة التعاونية، دمشق، سورية، 1983، ص:102.

3 - م،ن ،ص: 102.

4 - ينظر : المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي: د. أحمد طعمة حلبي، وزارة الثقافة، دمشق، 2006 ، ص: 238، ومابعدها.

يتصف بالمأسوي ، فالمأسوي يقوم على الصراع بين القبح و الجمال و التفاهة و الجلال[5]

لم يثر المأسوي بصفته قيمة جمالية جدلاً واسعاً في تحديد مكوناته ، لذلك قل التنظير و النقاش في وصفه و تعيينه ، فذهب أرسطو إلى ارتباطه بالأحوال النفسية ، وجعله مصدر إثارة مشاعر الشفقة و الخوف وهو عامل تطهير من الانفعالات المأسوية [6]. و رأى أن المأساة " محاكاة لمن هم أفضل منا[7] أي حصره بفئة الطبقة العليا في المجتمع " فيمن ذهب سمعه في الناس وترادفت عليهم النعم[8]، وذلك في تصنيفه لنوع المأساة التي كانت تشغل الأدب اليوناني القديم إلى أن تحولت المأساة فيه إلى طرح قضايا العامة في القرن التاسع عشر ، إذ غلب على رؤية أرسطو والكثير من بعده أو معاصريه ربط المأساة بالأدب التراجيدي

وفق هذا السياق لمعنى المأسوي في التفكير الجمالي ذهب سعد الدين كليب إلى رؤية مماثلة فربط المأسوي بالتراجيدي ورأى أن البطل المأسوي أفضل منا وفق معنى روحي "فالبطل التراجيدي هو أفضل منا ، لأنه يجسد المثل الأعلى الذي نسعى إليه إنه أكثرنا بطولية وأكثرنا حباً للمثل الأعلى ، وأكثرنا تضحية من أجل ذلك المثل أيضاً . إنه بسبب أفضليته الروحية ، يعلمنا كيف ينبغي أن تكون الحياة ، وكيف ينبغي أن نكون من أجل إنجاز مثلنا الأعلى في الجمال[9].

يصر سعد الدين كليب على ربط المأسوي بقدوة من المثل النبيلة التي تضحي في سبيل تنوير طريق حياة البشرية إلى إشراق سمو المبادئ و الكفاح من أجل بنائها

5 - المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي ،ص: 233.

6 -فن الشعر : أرسطو ،تر: عبد الرحمن بدوي،ط2،دار الثقافة ، بيروت، 1973،ص:18.

7 - م،ن،ص:43.

8 - م، ن،ص: 35.

9 - القيم الجمالية : سعد الدين كليب، أطروحة دكتورة، جامعة حلب ، كلية الآداب ،1989 ص: 235.

، وهذا ما جعله يكتسب صفة الأفضلية الروحية ، فهو بطل يحمل قضايا إنسانية نبيلة ، يتحمل المشاق من أجل تجسيدها ويعيش أحوالاً مأسوية ، وأهوالاً جمة تكسبه البطولة، والمأسوية ليست مقصورة على الحزن والأسى الناتجين من وقائع ألم البطل المأسوي في كفاحه بل من إجلال ما يمثله من قيم . هذا يعني أن المأسوي يكتسب صفة التقدير و القدوة التي تحتذى و تبجل ، وعراك بطلها الذي يكابد شقاء تحقيق مبادئه يتسم بالبطولة ، ويتعاطف الإنسان مع جمالية صراع البطل بسبب فضله في حمل رسالة سامية و تكبد المعاناة والإحباط والخوف من أجلها ، وهذا يعني إحساس المتلقي بالألم على مصير بطل إنساني نبيل.

و لما كانت الحياة الإنسانية في مختلف مكوناتها ترتبط بالكفاح في سبيل العيش و العدالة والخير، فإن الصراع فيها ركن من أركان وجود الإنسان، ولذلك ذهب كانط إلى أن المأساة صميم الحياة الإنسانية الروحية " فالحياة مأسوية في جوهرها ، لأن التناقض بين الحرية والطبيعة مطلق لا حل له[10] .

ويذهب تشير نيشفسكي إلى أن المأسوي يتجلى بحالين الأول " المأسوي هو عذاب الإنسان أو هلاكه [11]، والثاني هو " المرعب في الحياة الإنسانية"[12] ، وفي الحالين نجده يحدد المأسوي بجزئيات من كلية تؤدي المأسوي ، ولم يربط العذاب بأسباب تجعل مكابدته ذات تقدير خاص ، وفي الثاني لا يمكن للرعب وحده أن يشكل مأسوية هو جزء من اشتمال المأسوي على ما يكسبه المأسوية .

لا يدل تتبع أسيقة منظري علم الجمال للمأسوي على إغلاق لأفق المفهوم وحصره بمكونات ثابتة ، فهو يحمل لديهم مفهوماً يشتمل على أحوال الحزن و الألم و الأسى والخوف والقلق من جهة ومن أخرى عند بعضهم أن يرتبط بأسباب نبيلة ، ويكاد يرى بعضهم المأسوي تجليات مكابدات الإنسان في الحياة ، وكثيراً

10 - علم الجمال : بلوز ،ص: 102.

11 - علاقات الفن الجمالية بالواقع،ص: 38.

12 - م،ن،ص: 53.

ما يختلط عند بعضهم بالتراجيدي أو بالبطولي ، أو بالجليل ، على أن البطولي والجليل نتائج وأسباب للمأسوي لا مكونات .

أما في التفكير الجمالي العربي فلم يحظ بمفهومات وافية عن تشكيله قيمة جمالية ممايزة لغيرها من القيم، ويستدل من تنظيرات مفكري علم الجمال أن القيم الجمالية متداخلة و تتضمن أجزاء من مكونات بعضها فالجليل لا يخلو من الجميل و القبيح لا يخلو من الوضيع إنما للدراسات الجمالية أن تكشف عن المكونات التي تغلب إكسابه صفة قيمة بعينها ، وفي الشعر العربي عامة و شعر المهجر خاصة غالباً ما يرتبط المأسوي بأحوال الحزن والألم والأسى و القلق الناتجة عن أسباب الإحباط والمعاناة والمكابدة و شقاء الكفاح الإنساني والاغتراب و الفقد و الفراق فهو تجليات أحاسيس العذاب و الشجن و المعاناة جراء تلك الأسباب التي قد تكون معيشية ضيقة، أو جراء هموم وقضايا موضوعية نبيلة أو هموم ذاتية فردية ، والشعر المهجري بعمومه ومنه شعر الرابطة القلمية ، هو مصدر لتجليات الأشعار التي تجسد مكونات المأسوي التي ذكرناها ، فهو شعر فئة مثقفة رقيقة الإحساس عاشت ضرراً من واقع بائس مظلم اضطرها إلى الاغتراب الذي يشكل بذاته أفقاً مأسوياً لما فيه مكابدة وشقاء وغربة و حنين وألم.

قيمة المأسوي في شعر نسيب عريضة

تتسع قيمة المأسوي في شعر نسيب عريضة كثيراً، ويكاد مجمل شعره يتكئ على عتبات مأسوية في مختلف تجلياتها، ويكثر أن تظهر في موضوعات مأسوية تقليدية مثل التفجع بالموت والتألم من الفراق، والشكوى من الحياة وتصوير عذاباتها وشقائه في مناكبها، فضلاً عن الانفعالات النفسية التي تغص بها قصائده مثل الوحدة والوحشة واليأس و الإحباط، و الشك والحيرة، وأوجاع الغربة والاغتراب ونوازع الحنين، وشعر نسيب بأكمله يتميز بنزعة وجدانية عالية متعتقة في روح

عجنتها الألم والأحزان فصبغتها بصبغتها، " فأول ما نلمسه فيه حرارة العاطفة أو الفكرة التي تملي عليه القصيدة[13]، وكان لوفاة أخيه أثراً عالياً في تكوين تفجعه الذي ينم عن إحساس مأسوي بمصائب الحياة، و يسهم في تكوين قيمة المأسوي في شعره، إذ" تطلق صفة المأسوي على كل أمر مفجع أو موت إنسان، سواء أكان هذا الإنسان قريباً لنا أم بعيداً، عزيزاً علينا أم غير عزيز، فنحن أمام هذا الحدث الجلل تستثار فينا عاطفة حزن قوية جامحة [14]، وفق هذا الفهم لقيمة المأسوي فإن الشاعر نظم ثلاث قصائد أثبت عليها الإهداء إلى روح أخيه و هي: " صرخة من الوادي [15]، و يا غريب الدار [16] وذكرى الغريب[17] .

يستوفي نسيب عريضة في مجموع قصائد رثاء أخيه نسيج مأساة فجيعة الموت مخصوصة بأخيه مما يجعلها غزيرة الألم ومتوهجة الإحساس المأسوي، تفيض بتصوير ألم الفراق و الفقد، والتوجع من غياب علاقة حميمة عزيزة على روحه، فيبث أشجانه وبكاءه الحار، في مدار أفكار المراثي التي ترتكز على تصوير التفجع، والتألم لفقد مناقب حميدة، و التقلب على جمر ذكريات حميمة يستدرجها من ماض طوى أحد طرفي صاحبها، وقد لا نجد تميزاً في بنى قيمة المأسوي بين القصائد الثلاث إلا في مجال فن التصوير واستدرار مأسوية الموت ، وذلك شأن معظم قصائد الرثاء في الأدب العرب، إذ غالباً ما يكون التمايز في النسج الفني و ابتكار الصور المأسوية، وتطالعنا أولى هذه القصائد في سياق أسئلة شعرية تتفطر لشجوها وأساها النفس، فهو يسائل أخاه بترخيم صاحبي تحبباً وتحنناً، وتوجعاً، عن إقلاعه عن الرد، و يزيد تساؤل العارف استنكار الصمت و إعياء الجواب الموقف الشعري مأسوية:

يا صاح مالك لا ترد أصددت أم أعياك بعد

13 - أدب المهجر: عيسى الناعوري، ص:395.

14 - المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي،ص: 233.

15 - الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، مطبعة جريدة الأخلاق نيويورك،1946، ص: 116.

16 - الأرواح الحائرة، ص: 119،

17 - الأرواح الحائرة،ص: 121.

نفسي الأسيرة في الحضيض إليـــــك أيديها تمد
هلا أجبت أليس ما بيني وبينك صـــــاح عهد
أم أنت في كون سحيق لا صـــــدى منه يُردّ
أم قصّرت نفسي ودون مداك أبعاد وجهد
هب أنه حالت بموتك دوننا حـــــجب وسد
أفتعجز الأرواح عن خرق الـحواجز لو تود [18]

تحفل هذه الأبيات التي يفتح بها نسيب قصيدته " صرخة من الوادي" بفيض من مشاعر اللوعة والألم، ويشتد عليه الحزن ، وفجيعة الغياب، فيهتز و تهمين عليه الانفعالات المضطربة من هول إحساسه بالفاجعة، فيستعمل التساؤل تعبيراً عن شدة الاضطراب الذي أوقعه عليه الحزن ، وهو سؤال عارف يذهله الأسى فسأل ما لايجاب أو يجيب، و يعدد الشاعر بصيغة شعرية تضج تفجعاً تساؤلاته التي يضمهنا تسويغ عدم الرد مفترضاً ما لا يفترض، فيسأله عن العهد الذي يحتم عليه الإجابة، ثم يسأله مقراً احتمالاً سبب عدم الإجابة، ألأنه في كون سحيق لا صدى يرد فيه، أم أن الشاعر قصرت نفسه أن تجوب مداه ووهن جهد في عبور المسافات، ثم يتساءل مفترضاً أن سدوداً وحجباً حالت بين جسديهما، أتعجز الأرواح عن احتياز الحواجز التي منعت الأجساد .

تستدرج مجموعة هذه التساؤلات بوحاً وجدانياً شديد الأسى، والألم يتملك على المتلقي نفسه، ويزجه في بوتقة المشاعر المأسوية فيشاركه فيها، ومن غير شك أن المعنى العام لأسى الفقد والتفجع ومناداة الميت لم تكن بجديدة في الشعر العربي إلا أن صوغها الشعري ونسيجها الفني أسهما في تشكيل شعرية مأسوية مبدعة، ثم يستطرد الشاعر في الأبيات التالية لهذا المقتطع في تنويع صور حزنه وألم وفقدانه الصبر، فأغرقه في لجج مأساة كثيفة تراكمت طبقاتها المأسوية.

18 - الأرواح الحائرة، ص:116.

أما في قصيدة " يا غريب الدار" التي أهداها إلى روح أخيه سابا، نجد عريضة يتحدث من خلال الذكرى عن آلام فقدان أخيه:

شفّني التذكارْ وعصاني صبري
وفؤادي غارْ إثر طيف يسري
والدجى محيارْ ليس يدري أمري
أيّها الأقمارْ أين ولّى بدري[19]

يتبع الشاعر في وصف فجيعته بذكرى أخيه منهج الرثائين العرب في الشكوى من فقد الصبر لشدة الأم، و تصوير أن القلب جرى إثر الراحل، و التألم من شدة الظلام حيث يفتقد في حلكته بدره الذي يمثل بأخيه، و في المقطع الذي يليه يتحدث عن ألام تفكيره بالقبر، وفجيعة احتواء حفرته الإنسان الذي كان يشغل الكون بحيوية حياته، و كما قيل عن نسيب أنه كان في شعره " يصر على التحديق إلى النور البعيد[20] فإنه يصر على تأمل ظلام القبر العميق:

يا غريب الدّارْ ملحداً في القفر
تنتهي الأسفارْ كلّها في القبر
حفرة كم حارْ في مداها فكري
شقّها الحفّارْ ومضى لا يدري
أن فيها صارْ كلْ ما في العمر
تنتهي الأفكارْ والخيال الشعري
والهوى والغرارْ والغرام العذري
عندها والعارْ يلتقي بالفخر[21]

19 - الأرواح الحائر، ص: 119.

20 - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص: 278.

21 - الأرواح الحائرة،ص:119.

أفرد عريضة هذا المقطع لتجسيد مأساة نهاية الإنسان، و انتهائه إلى حفرة مظلمة، و جعلها مدار تأمل هذا المثوى الذي رآه مأساة مفجعة، فجعل فاتحتها أن يلحد الغريب في القفر، وأن تنتهي حياة الإنسان وأسفاره إلى قفر، وبين مدى انشغال تفكيره بتلك الحفرة التي يشقها الحفار ببساطة، و لا يدري أنها ستضم كل ما في عمر الإنسان، وهي مثوى الأفكار و الخيال، والعواطف والأحاسيس و الهوى والحب، ويلتقي فيها العار بالفخر، ينزاح نسيب عريضة بوحي فجيعته بأخيه ليتحدث عن تأملاته المأسوية عن الموت وانتهاء الإنسان إلى حفرة مظلمة و هي بذاتها صورة مأسوية كبرى تحتوي مختلف مكونات المأسوية، وفيها يتجلى القول الشعري الفاجع في أعلى انفعالاته المأسوية إذ" القول الفاجع الشاجي يمكن أن يحمل رفض الكائن للوضع الإنساني المتردي، كما يحمل الأم المصاحب لكل وضع متأزم، والأحوال الشاجية منها أحوال أعقبت فيها الوحشة من الإنس و الكدر من الصفاء [22]، فالشاعر يبطن قوله برفض شاجب لصورة هذه النهاية، وأساه منها ،و يتابع في المقطع الأخير رؤيته إلى مفهوم قدر الموت.

أما في قصيدته " ذكرى الغريب " التي أهداها أيضاً نسيب إلى روح أخيه الفقيد، فإن يتحدث فيها طويلاً، عن فجيعة تغرب أخيه، و شقائه في مناكب الحياة يحمل قيماً إنسانية نبيلة في سعيه حالماً بنشر ها، فيسأل أهل الخلود أن يفتحوا له الباب ويجيرونه :

"ألا أدخلوه أهيل الخـــــــــــلود إليكم ولا تحـــــــــرموه مقيلا
أتى بابكم مدنفـــــــــــــاً حائراً عليلاً فهـــــــلا أجرتم عليلا

22 - مفهوم الشعر،دراسة في التراث النقدي: د. جابر عصفور، ط2،دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص: 182.

قضى العمر في التيه في القفر حتى نفته الحياة فألفـــــى السبيلا[23]

تشكّل هذه القصيدة التي بلغت مئة وخمساً وثلاثين بيتاً، نموذجاً شعرياً لقيمة المأسوي، تستطرد في تفاصيل فجيعة الغياب، وتصف رحلة شقاء الأخ في الحياة، وتقدم صورة تفصيلية وجدانية لمناقبه الحميدة، وتفيض بطيوف رؤى مأسوية تستقطب حديث الأروح، وتكشف عن فلسفة الحياة والموت في رؤية عريضة، ويستغرق في وصف دجى ذاته وسط أمواج فجيعته بأخيه، فالقصيدة تستجلى سفراً مأسوياً منسوجاً بتأملات الشاعر لغياب أخيه و مشاقه حياته، وألام ذكرياته، ووحشة الفقد فضلاً عن فلسفته للموت والزمن.

و تغصّ القصيدة بمختلف مكونات المأساة من فجيعة وألم و حزن، وفقد، ووحشة وقلق، وحيرة في فهم الحياة ومصير الإنسان، ولكن قيمة المأسوي في شعر عريضة وبالخصوص في الموت تجسد مفهوم المأسوي من منظور علم الجمال فالشعر بوصفه فناً خطابياً " يعكس درجة من درجات تطور الإدراك للعالم[24].

إذا نجد أن عريضة أوغل في نسج مكونات المأساة ببراعة لكن رؤاه للموت والحياة جعلها في شعرها إلهاماً للغموض و ميتافيزيقيا الروح السابحة في ملكوت الحيرة والشك و تجسد توغلاً معرفياً، والمأساة في شعره تجسيداً لتداعيات الصدمة بالفقد، واستدرار الفجيعة و مظاهرها المعنوية والحسية، و تعبيراً عن عناصر المأساة التقليدية في الرثاء يضاف إليها ربط مأساة الموت بالفقد وبعذاب الحياة قبل الموت من جهة ومن جهة أخرى الاسترسال في تصدير الحيرة والشك من ظواهر عذابات الحياة ومصير الموت و الغياب الأبدي .

23 - الأرواح الحائرة، ص: 121.

24 - علم الجمال عند لوكاتش: د. رمضان بسطاوي، محمد غانم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1991، ص: 98.

ويلاقي نسيب عريضة هذه الأفكار في تكوين قيمة المأسوي في القصائد التي خصها لرثاء الأصدقاء و الأدباء منهم، فهو يخص في قصيدة موت العالم الشيخ عبدالله البستاني

يفتتحها بحوار بينه وبين من استغرب شدة حزنه على الفقيد و تساؤله إن كان أخاً أم قريباً، فيستدرج جملة أسئلة ليبين أن فجيعته كانت بفقد عالم أديب أثرى العقول بنور نتاجه و غادر فقيراً، لم يورث لعائلته ما يكفيهم قوتهم، ويستطرد في ذلك ليكشف عن ثروة الراحل الأخلاقية والأدبية و مواقفه المشرفة، فالمأسوي يتجلى بفجيعة باني الأخلاق و العلم و نزيه السلوك ومنير الفكر:

عظم الأجر في فقيدك يا صـــاح فقم واترك الأســـــــــى لبناته
إن شيخاً كمـــــــن ذكرت فقيراً ليس يبكى و الموت من حسناته
لا ترى ما أقول يا صاح فالخطب كبير كما أرى من ســــــــماته
فبروحـــــي أفديك فاجلس وحدثني بأخلاق من مضـــــــى وصفاته

...

إنه عالم تقول قضى الأيـــــــــــــــــــــــام ما بين طرسه ودواته
هذب الناشئة في أمـــــــــــة ما عرفت حـــــقّ قدر في حياته
رفع النور للضياع وقد أقصاهـــــــــــــــــــم الجهل في دجى فلواته
أنفق العمر دائباً يخدم العلـــم فلم يجزه ســـــــــــــوى حسراته[25]

تتمركز قيمة المأسوي في هذه القصيدة فضلاً عن تصوير فجيعة الموت وما تستدعيه من حزن وأسى وألم، تصوير مأساة العالم والأديب في المجتمع العربي الذي لا يلقى تقدير جهده و العرفان بعظمة بلائه في تنشئة العقول و تربية

25 - الأرواح الحائرة،234.

الأجيال ولا يقدر قيمة ثروة العلم و الأدب و الفضائل الأخلاقية و المبادئ النبيلة التي يحوزها رواده في مجتمع يعنى بالقشور و المظاهر وتقدير إرث الثراء المادي، فهو يتوسع في إبراز مظاهر المأساة المعنوية والحسية في صور حياة الأديب وكده وشقائه وعذاباته في الحياة عامة، وحياة العلم خاصة، فيكشف مأساة فقدان تقدير قيمة الأعلام التنويرية في مجتمع غارق في ظلمات الجهل .

ويتجه نسيب عريضة في قصيدته "عم صباحاً التي أهداه إلى روح جبران في ذكراه الأربعينية " إلى تمجيد جبران و إشراق إبداعه الذي أهله إلى الخلود، فلم يفصل في فجيعة غيابه بل تغنى بخلوده، فهو في تمجيد جبران ينحاز إلى مقولة " الدور الإيجابي للشعر بارز في معالجة هذه الأحول من حيث هي تعبير عن رفض الكائن للمتردي فضلاً عن أن هذا الدور بارز في ضرورة تأكيد الفرحة والأمل من خلال قتامة الفجيعة والشجو[26] ، ويدعو إلى تأمل ما ابتدعه من نور بأدبه:

لا تكن نائحاً فنوحـــك للأرض فكن صـــــامت الأسى وترفع
وانطلق فوق عالم الحس وانظر نور جبران في ذرا الخلد يلمع[27]

لكن الشاعر لا يلبث أن يتجه إلى تجسيد المأسوي بتصوير عذابات الحياة التي يعيش، ودجى الشقاء الذي يكتنفه، والحزن الذي يتقاسمه الجميع في الحياة لكن كل منهم يراه الأعظم:

من حضيض الدنيا تناجيك روحي وأنا في دجى الأسى أتسكع
لست وحدي فحيث أرسل طـــرفي يبصر الطرف والها يتفجع

26 - مفهوم الشعر،ص: 182.

27 - الأرواح الحائرة، ص: 237.

كلنا خال حزنه أعظم الـــــــحزن ولم يحترق ولم يتصـــــــدع [28]

و نسيب عريضة من أكثر شعراء الرابطة القلمية الذين جسدوا في أشعارهم المأسوي الذي ينشأ من فكرة عذابات الإنسان في الحياة، فيكاد أن يكون شعره صدى مأسوياً لعذاباته في الحياة ،وقد أشار الدارسون إلى هيمنة التشاؤم على شعره، وأثر عنه ذلك في مختلف موضوعاته، ومنهم من يرد هذه الظاهرة إلى " تلك الصدمات المتوالية أثرت في نفسية الشاعر الرقيق فانطبع مزاجه بطابع التشاؤم وطفح أدبه بالشكوى من تعس الحياة[29]، غالباً ما ينحت عريضة بشعره تمثال الحياة على هيئة تكوين أسود مملوء بالأسى والشقاء:

دعني وشأني وهل يعنيك من شأني
حديث هم وآلام وأشـــــــــــجان
أنت الخلي ولي حظ الشجي فلا
يعديك مني شقاء العاثر العاني [30]

يفرط عريضة في إبراز الحياة دار شقاء، ويندب دائماً حظه الشقي، فيصور ذاته فلكاً مأسوياً يدور في متاهات الحياة، فلا يملك إلا أحاديث الألم و الهموم و الأشجان، و ويهيمن عليه التفكير المأسوي الذي تولد من تجاربه الشخصية، فانعكست على مجمل رؤيته إلى الحياة،إذ بات يراها مجرد سلسلة متتالية من الآلام، و العذاب، و لا يثير انتباه الشاعر أن الإكثار من تريد الأسى، و هذه الصبغة الحالكة من الحزن تجافي الطباع البشرية في تقبل الشعر" إذا تماد

28 - الأرواح الحائرة، ص: 238.

29 -أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، ص: 272.

30 - الأرواح الحائرة، ص: 49.

استمرار الشاعر في الأسلوب على معان من شأن النفس أن تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحق عليه أن يؤنس النفوس[31]، لكن عريضة لا يأبه من التوغل في سرد أسى الحياة شعرياً، ولا من جعل شعره معرضاً لصور عذاباته بمأسوية شديدة الحلكة، فهو يعيش في الحضيض كما يرى:

أنا في الحضيض
وأنا مريض
أفلا يد تمتد نـــــــــحوي بالدوا
وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوتي نحـــــو الذرا
فأسير مستنداً إليها في الورى [32]

يستغرق الشاعر في عرض مظاهر إحساسه المأسوي بجعل أفق عيشه مدار حرمان فظيع في هوة حضيض لا قاع لشقائه، ويعاني وحشة مريرة، فهو أعوز إلى يد إنسانية حانية يتكئ عليها ليخرج من غيابة وحدته وأساه، وتلك أقسى صور المأسوية التي تطبق على نفس الإنسان.

قد لا نستوفي قيمة المأسوي التي تجسد عذاب الإنسان في الحيلة في شعر نسيب عريضة فهي تمتد على أكثر قصائده وتتسع فيها، وتتشعب صوره، لكننا اكتفينا بتلك المقاطع التي تستوفي جوانب مهمة من هذه الظاهرة، ولعل أبرز ما يطالعنا به عريضة في صبغ شعره بالمأسوية صورة مميزة تعكس شقاء الشعراء و مأساتهم الكامنة في الانفصام بين الشعر و الواقع فيكشف عن مخادعة الشعر لحقيقة الشعراء، فنجده في قصيدة " ليل الشعراء " يعري ثنائية الوهم والحقيقة في صلب حياة الشعراء الذين يتغنون بأشياء فيهمون المتلقي بسراب لا ماء فيه،

31 - سر الفصاحة : عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي،تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح،القاهرة ، ص: 110،113.

32 - الأرواح الحائرة،ص: 72.

والمقتطع التالي على ما فيه من تهكم مبطن يجسد مأسوية حال الشاعر بين الخيال الشعري و واقعه الذي يعيش :

كؤوس الهوى دارات علينا بليلة وقد أترعت من خمر روح المحبة
فنحن شربنا والأنام ترنحّـــــوا وما غنموا من راحنـــــا غير نشقة
وهمنا فهام الخلق من ذكر حينا ولم ينظروا ليلى ولا وجه عزة[33]

يعرض الشاعر فكرة الإيهام في الشعر، و يكشف عن أساس الخيال الشعري الذي لا يكون إلا وهماً، ثم يكشف أن دولة الشعر في حقيقتها ليل حلم ،ونشوة وأحلام خيال ، و الحياة ليست إلا وهماً وألماً وشقاء وتلك مأساة شعرائها:

فقمنا و نفضّنا غبار عروشنـــا لنظفر مـــــــــن كد الحياة بلقمة
فنحن حيارى في النهار صعالك ونحن ملوك في الدجى أهل سطوة
تملكنا أحـــــــــلامنا وخيالنا ودولة أهـــل الشعر أوسع دولة [34]

وإذا كانت الحياة بنواميسها هي طريق كد وكفاح وشقاء، و عذاب مما يجعلها في نظر منظري علم الجمال مأساوية في تكوينها، فمن غير شك هي مأسوية مضاعفة في نظر الشعراء لفرط حساسيتهم، واتساع أحلامهم و أمدية خيالهم، لذلك كانت الحياة منبعاً ثراً للشقاء عند شعراء الرابطة القلمية ومنهم عريضة الذي كان أشد حساسية في تقبل وقائعها وأحداثها، لذلك استغرق في الشك والحيرة والقلق ، و هي مكونات لقيمة المأسوي ولا سيما في بعث فيض من

33 - الأرواح الحائرة، ص:36.

34 - الأرواح الحائرة، ص:37.

الانفعالات النفسية المأسوية للشاعر التي تشكل أحد أعمدة المأسوي عند أرسطو[35].

وكان للحيرة في شعر نسيب عريضة نصيبها الأوفر سواء في عدد القصائد أو طولها، وهي تسترسل في الكشف عن انفعالات نفسية مأسوية،" و تصور هذه الناحية من جوانب نفس الشاعر كثيرة فقد ضم الديوان أكثر من عشرين قصيدة، وفي كل منها تصوير بارع للحيرة البالغة [36] ، لم تكن هذه السعة في قصائد الحيرة إلا استجابة فنية لهواجس نسيب وقلقه، و رؤاه المأسوية للكون والتكوين وحياة البشر، وهي تجسيد لطوابع ذاته الكئيبة المأزومة، فهو مستلب الكيان للألم والحزن، وعسر التأقلم مع نواميس الحياة، وكثيراً ما تجعله مترعاً بأسئلة الشك عاجزاً عن الإجابة عنها، فيزداد تشاؤمه، وقلقه حتى لا يرى في الحياة إلا تكوينها المأسوي :

عن وكم من أنَّةٍ في وَتَري في صَداها عَنعَناتٌ عن خَبَر
باطلاً تَرجُونَ لَحناً مُفرِحاً قَطَّعَت أطرَبَ أوتاري العِبَر
فَدعُوا قلبي معَ الباكِينَ في مأتَمِ العَيشِ على حالِ البَشَر[37]

فالشاعر يرى أشعاره وتراً يعزف أنينه، ويطلب أن يترك قلبه مع الباكين، فهو يعيش في مأتم حال البشر، ويتهكم من الأمل بالفرح إذ عبر الحياة قطّعت أوتاره ، ولا يحتاج هذا الكم من الأسى إلى تفسير تجسيد المأسوي في ذرا تجلياته، و تمثل قصيدة " مركب الفؤاد نموذجاً للمأسوي القائم على حيرة روح تتخبط هائمة في فضاء الشك والحيرة :

35 -فن الشعر،ص:18.

36 - أدب المهجر: عيسى الناعوري،ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977 ،ص: 396.

37 - الأرواح الحائرة، ص: 20.

قلبي بـــــلا شراع يطوف في البحار
قد قارب التداعي مـــــــن كثرة الأسفار
سفينـــــــة حقيرة ليس لهـــــا ربان

يجسد الشاعر تخبطه وسط أمواج لائبة، وهو يركب سفينة حقيرة بلا ربان، وقد حولته الأسفار هلاماً من التداعيات، و يتماهى الشاعر مع الحيرة لتتحول في شعره مكوناً مأسوياً يغدق كآبة روحه، لذلك تميز عريضة عن سواه من شعراء الرابطة في تجسيد تجليات الحيرة المأسوية، إذ" غذاها من نفسه حتى صارت تتحرك وتمشي وتتكلم ولكنها لا تبوح بأسرارها [38] مثلما نجده في قصيدة يا نفس التي تتحول إلى بكائية تفيض شجا و ألماً، وأنيناً، وتتفطر فيها النفس من الحيرة أسى روحياً يجسد المأسوي في حلكة سواده :

يا نفسُ مالك والأنيـــــــــن تتألَّميـــــن وتُؤلمين
عذَّبتِ قلبي بالـــــــــــحَنين وكَتَمتِهِ ما تقصُدين
..
أطلقتِ نَوحَك للظـــــــــلام إيَّاكِ يَسمَعكِ الأنام
فيَظُنَّ زَفرَتك النِّيـــــــــام بوقَ النُّشورِ ليوم دِين
يا نفس ما لك في اضطِراب كفريسةٍ بين الذئاب[39]

تفيض نفس نسيب حيرة تغذيها كأبة موجعة تطبعت بها " ومثل هذه الحيرة الشديدة طبعت حياة الشاعر، وأدبه بطابعها لابد من أن ترافقها كآبة كثيرة أيضاً

38 - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية: جورج صيدح ،ط2، بيروت،1957، ص: 166، 168.
ص: 275.
39 - الأرواح الحائرة،ص: 87.

وهل الحياة سوى علامة استفهام كبرى طرفها الأعلى غائب في الألم وطرفها الأسفل مغموساً في الألم كذلك[40]. فالشاعر يغذي صور النفس التي تذوب حيرة بالعنف لشدة ثقل إحساسه بالتمزق والضياع، وضاق بوطأة الحيرة فبات يستصرخ بالأسئلة ذاته، فيتسأل عن مرامها من شدة تفجعها فتجهر بنوحها حتى تسمع الأنام، وتجعل زفراتها بوق النشور، وتضطرب كأنها تتمزق بين أنياب الذئاب، و نجده في قصيدة قلمي، يجرد نفسه على صورة قلم يخط غياهب أسى وفق تصوير شعري مفعم بالقسوة و التهويل :

أوهِ ألَم يُكتَب هذا القـــــــلم إلا بأن يَشـــكو الأسى والألم
يا قلَمي الشارِبَ خَمرَ الشَّجا والمُسمِعَ الطِّرسَ صرِيرَ النِقَم
أفي حمى الغِربانِ ثُقِّفتَ أم بين خَوافيها أُلِفتَ الظُلَم
نشأتَ نَعَاباً فلا غَروَ أن تَحسِبَ أنَّ النَعبَ كلُّ النَغَم
أم كنتَ عُوداً عندَ مُستنقَعٍ في نَبتةٍ تَمتَصُّ ماءَ الرِمَم

..

فاسكُبُ على الأبيضِ من أسودٍ يلذَعُ في الأوراقِ لَذعَ الحُمَم
ما الحِبرُ ما تَنفثُهُ ناقماً ذاكَ سُويداءُ الحَشا يا قَلم [41]

يستطرد الشاعر في هذه القصيدة باستدعاء معرض صور تضج ألماً وكآبة، و لا نحايد الموضوعية إذا قلنا أنه يفرط في المأسوية التي يجسدها العويل والأنين والنحيب، فيستدعي أوسع معجم لفظي للأسى، فتطفح القصيدة بألفاظ مثل: أواه، أسى، ألم، شجا، ومعجم شؤم : الغربان، نعاباً، الظلم، النقم، أسود، الححم، الرمم، يلذع، تنفثه، ناقماً الغراب النعاب، تصب هذه الألفاظ في أسيقة صور

40 - أدب المهجر،ص: 396.

41 - الأرواح الحائرة،ص:201.

بالغة القسوة، فالقلم نشأ نعاباً وثقف بين الغراب في الظلم، وهو يلذع بالسواد الأوراق، فالشاعر ينضح أسى طال استنقاعه في ذاته، فبدا المأسوي ألحان تفجع وندب واستبكاء و نحيب يفوق أجواء المآتم في احتفائه المأسوي.

وتمثل رحلة عريضة الخيالية في قصيدته " على طريق إرم" وهي ملحمة شعرية مأسوية الإحساس في مختلف محطات رحلتها، و القصيدة نمط ساد في شعر المهجر، ولكن قصيدة عريضة تمتاز بتكوينها سفراً مأسوياً، يجمع تجليات مأساة عذاب الحياة، وهواجس القلق وتداعيات الحيرة والشك، و ما تجيش به من آلام و أحزان، و انصباب أسى يغرق القصيدة بصبغة مأسوية. و يصور الشاعر في المرحلة الأولى قلبه يحث السير مسترشد دليل الحواس الخمس خطى السابقين، ويصبغ الرحلة بمأساة شقاء الرحلة فهي تجرى في طريق وعرة يغمرها الدجى و رنين أجراسه أنين الروح:

ارفع الطـــــــرف يا دليلا هل ترى في الدجى حمولا
صوت أجراســــــــا يرنّ تلك أرواحنـــــــــا تئنّ[42]

ويصور المرحلة التالية بتصاعد المأساة فيعبر الطلل الأخير ليصل إلى القفر الأعظم، وحيداً يحمل صليبه على ظهره، يستهدي بنجوم لا يراها:

وسرت وحدي وفوق ظهري صليبي
مستهدياً بنجوم ليست تراها عيوني[43]

42 - الأرواح الحائرة، ص: 182.

43 - الأرواح الحائرة،ص: 186.

ويستيقن الشاعر أن الحواس غير مجدية، ويعرض صراع العقل و القلب، وهو صراع ينطوي على مأساة القلق وشقاء الصرع، ويصل إلى شقاء صراع الشك الذي يشكل جذوة مأساة نسيب عريضة :

وأطلق الشك جيشاً من الظنون وجهجه
ففر عقلي جبانا وجنّ خوفاً وقهقه [44]

ويعصف الشك و الحيرة بالشاعر إلى أن يتفرق به الركب في تبديد الذات بين الأماني و الحقائق، وفي المرحلة الأخيرة من الرحلة وسط شقاء مأسوي يلمح نار إرم، لكنها نار خافتة تنتهي إليها الرحلة، وهي انكشاف لضوء فلسفة قامت على أشعتها القصيدة في رحلتها " وهذا الضوء البعيد الذي اهتدت إليه بصيرة الشاعر بعد جهاد نفسي طويل هو الوحدانية المطلقة في جوهر الحياة [45]:

إيه ضوء بعيد لح ولح ما تريد
ليس طرفي يحيد عنك حتى يعود
لتراب ودود [46]

تشكل هذه الرحلة قيمة المأسوي بامتياز فهي ملحمة صوفية " يستعرض الشاعر مراحل الحياة، ويستوحي القلب أقولاً تعكس روحانية الشرق العربي حين تخب القافلة على ترجيع الحداء، ثم يستنزل العقل أفكاراً عميقة في تعابير حافظ فيها على جو البوادي[47]، فالرحلة استعراض لعذاب الروح و الفكر والوجود، والأمل الخافت في مدى بعيد يعني أن ليس للشقاء نهاية وفق رؤية نسيب عريضة .

44 - الأرواح الحائرة،ص: 193.

45 - أدب المهجر،ص: 395.

46 - الأرواح الحائرة،ص:197.

47 -أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، ص: 277.

و عرف نسيب عريضة بشاعر الحيرة و القلق ، وهي طوابع نفسية ظاهرة في شعره ، فقد عاش الشاعر في عمق مأساة هذه الهواجس، وكانت الغربة إضافة جرعات مأسوية إلى طابع القلق و الألم الذي طبع نفسه ،فعانى أوجاع الغربة، وتشظت نفسه بين مشاق الحياة في الغربة، ونزعة الحنين إلى الوطن، فاصطبغت حياته بمأساة تمزقه الروحي و " التمزق معطى حضاري عند الأديب .. يتحول عبر الحساسية الفنية معيناً خصباً يغذي أدبه بنفس وجودي [48] و هذا النفس الوجودي هو مأسوي في غربة نسيب عريضة:

أنا المهاجر ذو نفسين واحدة تسير سيري وأخرى رهن أوطاني[49]

ووصف نسيب عريضة عذاباته في لحظات الوداع قبل الهجرة، ولوعة الفراق التي ملأت نفسه أسى، وهو يستعيد قسوة اللحظة من الماضي يزداد حزنه بريقاً، وينسحق عميقاً في هوة مأساة الوادع إذ الشاعر باستعادة اللحظة المؤلمة " يقوم بعملية اختبار غير واعية تفوق سلطان العادة [50] فالخيال يوسع الإحساس الشعري بالمأسوي:

أنا المهاجر لا أنسى الوداع وما جرى من الدمع في أجفان غزلان
ولوعة في حشا الأحباب ما بردت عللتها بلقاء رهن أزمان[51]

48 - البعد النفسي بين التمزق و الصراع في ديوان أبو القاسم الشابي :د. عبد السلام المسدي ، مجلة الطليعة الأدبية، ع:2، سنة:6،بغداد ،1980،ص: 14.

49 - الأرواح الحائرة ،ص: 245.

50 - فلسفة الجمال في الفكر المعاصر : د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1981، ص: 93.

51 - الأرواح الحائرة ،ص: 247.

و صور الشاعر فجيعة اصطدامه بواقع الغربة ، و قبح الحياة المادية تختفي خلف بريق الحضارة التي قطع البحار في سبيل الوصول إليها، فيعيش اغتراباً روحياً يتجلى بانفصاله " [52]من ظرف إنساني مثالي " ويستسلم لأساه :

أكوى ما تراه فيها صفوفاً بص منها بريق نور منظم
أم تراها حراشفاً لامعات تنزوى في جسم أعظم أرقم [53]

كان نسيب عريضة شأن شعراء المهجر متحمساً للهجرة بسبب واقع التخلف و الجهل والاستبداد الذي غمس بلاده بظلامه ، فانبرى يحمل حلم الخلاص ، لكنه اصطدم بواقع التيه في آلام الغربة ،وتبدد حلمه ، فترسخ الإحباط والأسى في أعماقه ، وطفق يفني عمره في دروب الحلم والغربة من دون أن يحقق ما يصبو إليها فتعمق شعور الأسى في نفسه :

سار في دربه الطويل سنينا
يتناسى أشواقه والحنينا
يبتغي أن يدافع التنينا
عن فتاة تسيل دمعاً سخينا
تتضرع[54]

تفرد نسيب عريضة بالاغتراب فأسرف في جعل شعره يوقع صدى أنين مأسوي ناتج عن الاغتراب، و الوحدة والوحشة قسراً، أو طوعاً ، وضاعف قيمة المأسوي

52 - الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً: د. قيس النوري، مجلة عالم الفكر ، ع:1، مج:10، الكويت ، 1979، ص:18.
53 - الأرواح الحائرة ،ص:269.
54 - الأرواح الحائرة ، ص: 99.

في تجليات اغتراب الشاعر مزاجه الذي انطبع " بطابع التشاؤم وطفح أدبه بالشكوى من تعس الحياة ،وكيف لا يقنط الأديب المغترب الذي أعد من مواهبه ودراساته عدة النجاح فلم يلق إلى الإخفاق مضافاً إلى وحشة الاغتراب[55]، فهو يرزح تحت وطأة الشعور بالاغتراب و الوحدة :

وقمت و الكأس علت في يدي رفعتها أعلى من الرأس
شربت وحدي نخب نفسي ولم يقلقني هاتف وسواس[56]

لقد استلبت نسيب عريضة حيرة قذفت به عميقاً في لظى مشاعر الاغتراب و الوحشة ،" حيرة كونية تشمل الزمان والمكان برميتهما ،هي سورة روح أزلية تغلي في مرجل ملؤه السماوات والأرض سمعنا صدى زفيرها وأنينها جيلاً بعد جيل [57]، فعاش مأساة الغربة والاغتراب ، وضمن شعره طيفاً واسعاً منها ، و صب جل هذا الطيف في مكونات قيمة المأسوي بوصف فيض من شعور الأسى و الألم و الحسرة ،والإحساس الساحق بالشقاء و العذاب .

وكانت الغربة تستدعي عند أكثر شعراء الربطة القلمية موضوع شعر الحنين ، وكان هذا الغرض عند نسيب عريضة أشد استغراقاً في المأسوية ،فهو حنين يضطرم لوعة وحزناً وألماً ، فيصور نفسه يلتمس حتى النسيم فيشتم به رائحة كثبان رمال أوطانه ، فيذوب حسرة وحنيناً، ويجرد الرياح من جمادها، ويشخصها بكائن يخاطبه ، فيرجوها أن تتدفق ، وتتغلل بين أضلاعه وتطوف إلى كبده ويتمنى عليها أن تبرد تلظى جمر دمعه القاني الذي ينهمل شوقاً وحنيناً إلى دياره وخلانه ، ويدعوها أن تذكره بما نسي، و أن تنبت له أجنحة ليطوف أوطانه:

55 - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ، ص: 272.

56 - الأرواح الحائرة ، ص: 23.

57 - الأرواح الحائرة ، المقدمة،ص: 2.

صحبي دعوا النسمات الميس تلمسني فقد عرفت بها أنفاس كثباني
تدفقي يا رياح الشرق هائجـــــة فأنت لا شك من أهلي وأخواني
هززت أغصان قلبي بعدما خلعت ثوب الربيع فماست رقص نشوان
تغلغلي بين أضلاعي إلى كبدي وخففي من حرور السائل القاني
وذكريني بما أنسيتُ من أمل وجنّحيني أرفرف فوق أوطاني [58]

لم تستطع الأيام أن تطوي صفحات ألم الشاعر من الغربة، وسفر الحنين والشوق، بل راح يزيد على مر الأيام لوعة وأسى، فيقر الشاعر أن بعد ثلاثين عاماً من البعد عن الأهل و الوطن لم ينسهما ، لأن عهده فيهما مواثيق أرحام وإيمان ، ويرى أن الشوق و الحنين لا تنطفئ جذوتها بمرور الزمن، واتساع المسافات بقدر تزداد توهجاً وجمراً:

مرت ثلاثون لم أنس العهود وهل تنسى مواثيق أرحام وإيمان
الأهل أهلي وأطلال الحمى وطني وساكنوا الربع أترابي وأقراني
قد كنت أشتاقهم و العين تنظرهم وأعظم شوقي على بعد وهجران[59]

وتشكل قصيدته أم الحجار السود سفراً شعرياً براقاً في تجسيد مأسوية الحنين إلى مسقط رأسه و مرتع شبابه ، فتجلت فيها شعرية تتفطر إبداعاً للمشاعر المأسوية التي ينبض بها الحنين المتقد، فنسمع في حروفها تكسر آهات الحنين، وحشرجة زفرات الألم، فهو عاشق وله، يحن إلى بساتين الميماس وقريته الوادعة الدوير :

58 - الأرواح الحائرة ، ص: 246 ، 247.

59 - الأرواح الحائرة ، ص: 247.

ماذا يكابد في النوى ويقاسي
صبّ يحن إلى حمى الميماس
وإلى الدوير إلى ربوع الكاسي[60]

و ينازعه الشوق إلى وطنه فيغلب توجع الحنين صبره ، فيتأمل بعده ، فتغرق ذاته بالأسى والإحباط واليأس ، فيتساءل إن كانت له عودة ترجى ،بعد ما فات الزمن ، ولم يبق لديه إلا التمني أن يعود إلى حمص، ولو حشو الكفن، وأن يجعل ضريحه من حجار حمص السود ، فتعاظمت قيمة المأسوي في حينن نسيب بمعانيها الدالة على الألم و العذاب، وتجلياتها الشعرية إذ" الشعر صفة علوية أي نقل مفاجئ تقوم به الألفاظ تحت تأثير خاص [61] هو لوعة روحه و تداعيات مشاعره :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي إلى حمص ولو حشو الكفن
واهتف : أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود [62]

60 - الأرواح الحائرة ،ص: 254.

61 - الأسس الجمالية في النقد الأدبي: د. عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، القاهرة،1992 ، ص: 345.

62 - الأرواح الحائرة ، ص: 256.

عاش نسيب عريضة في المهجر سلسلة متلاحقة من المآسي الشخصية، والخيبات طبعت شعره بالتشاؤم و اليأس و الأسى، فكانت بؤرة تتدفق معاني المأسوي ، وهو لم يشط بالحنين مبالغة لترسيخ دلالته على المأسوي ، بل أضحى الحنين مأسوياً لأن الشاعر أدرك أنه في محيط خيبات ذاتية دمرت صرحه أمله بالهجرة ، وهو ينتمي إلى جيل عانى القلق ،و تملكه مزاجاً شديد الحزن ، " إن ذلك المزاج الحزين كان مراج العصر[63] لأنه عصر أسرفت تحولاته بالمادية و تبديد أحلام الشعراء ، فازداد ألهم من المهجر ،واستبد بهم الحنين الموجع، وبات يتضمن ندماً مراً ، فنجد عريضة يطير قلبه من بين جانبيه حين يرى في حانوت سلة فواكه ذكرته بوطنه، فأضحى كل ما يذكره به نبع أسى وحسرة:

واستوقفني على حانوت بقال عيني وقوف مشوق عند أطلال
لسلة ذات ألوان وأشكال فيها فواكه لم تخطر على بالي
ثمار كرم وتين فوق رمان
سل عليه ثمار الشرق أحلاها لمتجر عرضوها لا لمعناها
وقفت أرقبها والقلب قد تاها في بحر ذكرى تناديني بقاياها
إلى عصور خلت من قبل أزمان[64]

عمل الحنين الذي استلب الشاعر على دفعه إلى الإيغال بتفاصيل مشهد السلة ، ونبش مكنون أحاسيسه، وتشخيصها ، فعمق المأسوي إذا جعل السلة تعرف أنه غريب ، فيطير قلبه إلى وطنه حنيناً ،فالشاعر يستدعي الوطن بصورة السلة ، ويكسر مسافات البعد، وحين" يقدم الشاعر بعداً فهو يعرف بشكل غريزي، أن هذا البعد يجري تحديده في اللحظة نفسها بسبب كونه مغروساً في قيمية حليمية

63 - علي محمود طه، الشاعر و الإنسان: أنور المعداوي، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد مديرية الثقافة العام، بغداد، 1965 ،ص: 23.
64 - الأرواح الحائرة ، ص: 92.

[65] لقد كان التصوير المأسوي للسلة وشعوره اتجاهها مكتنزاً بشعرية خصبة الدلالة على المأسوي الذي يضطرم في الحنين ، فقدم تجليات بالغة المأسوية للعذاب الذي يكابده المهاجر:

وقفت رغماً وحولي الناس ما وقفت أراقب السل والأثمار قد بسمت
كأنها إذ رأتني ذاهلاً عرفت أني غريب فحيتني وما نطقت
فطار قلبي حنيناً نحو أوطاني [66]

فاض شعر الحنين والشوق إلى الأهل و الديار عند نسيب بمعاني قيمة المأسوي ودلالاتها ، وتميز عنده بصبغة بالغة الألم والعذاب و الحسرات التي تزهق نفسه، فكان حنيه أنيناً شعرياً مكتظاً بدواعي الأسى و التفجع و اللوعة التي تكون قيمة المأسوي .

الخاتمة :

نستنتج من هذه الدراسة أن قيمة المأسوي في التفكير الجمالي تتسع لتتضمن معاني الحزن والألم الناتجة عن طبيعة الحياة ومساقاتها ، و المواقف الإنسانية تجاه الفقد ،و الصراع مع شقاء الحياة وإحباطاتها، و الأحوال النفسية التي تنشأ من رؤيا الشاعر الغارقة في تساؤلات الحيرة والشك، و أن شعر نسيب عريضة اتسع في تجسيد المأسوي في تأسيه على من فقد وارتحل، و أن حيرته التي صبغت شعره تنطلق من إحساس مأسوي مفرط بالألم ، و زادت تجربته في الغربة شعوره بالمأسوي وأضافت إلى ألم الغربة المكانية تمكين مأسوية الاغتراب بوصفه أحوالاً نفسية تنتج عن انعدام التآلف مع الواقع الذي يعيشه ، وكان الحنين والشوق إلى الأهل و الديار في شعره يصدر عن شعور مأسوي حاد ، فطبع شعريته باللوعة و العذاب و الألم .

65 - جماليات المكان : غاستون باشلار،تر: غالب هلسا، ط4، المسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، 1996،ص: 172.

66 - الأرواح الحائرة، ص: 93.

تضافرت جملة هذه المعاني لتجسد قيمة المأسوي في كثير من مكوناته وفق نظريات علم الجمال ، وإن غاب عنها عنصر البطل التراجيدي الذي افترضه بعضهم ليكمل قيمة المأسوي، لكن الشاعر في تجاربه جسد بطولة مأسوية إذ استغرق شعره في صور الأم والأسى و الإحباط والشك ، فكان معرض صور مأسوية تثير الإحساس بجمالية هذه القيمة وتفردها بطغيان التشاؤم والسوداوية على نبضات شعره الذي تحول إلى آهات، وحسرات، وفيض دمع ووجع وانكسار تجلت فيها نفس نسيب عريضة الغارقة بإحساس مأسوي في رؤاها للحياة سبحات عذاب وشقاء ، وفي تجاربه الشخصية من فقد أحبته وهجرة وطنه وأهله، و تشبعه بالريبة والشك والحيرة .

المصادر والمراجع :

1- أدب المهجر: عيسى الناعوري،ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977 .

2- أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية: جورج صيدح ،ط2، بيروت،1957.

3 – الأرواح الحائرة: نسيب عريضة، مطبعة جريدة الأخلاق نيويورك،1946.

4- الأسس الجمالية في النقد الأدبي: د. عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، القاهرة،1992.

5- جماليات المكان : غاستون باشلار،تر: غالب هلسا، ط4، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، 1996.

6- سر الفصاحة : عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي،تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح،القاهرة ،(د.ت) .

7- علاقة الفن الجمالية بالواقع : ن. غ. تشرنيشفسكي، تر: د. يوسف حلاق ، وزارة الثقافة، دمشق، 1983.

8- علم الجمال، نايف بلوز، ط2، منشورات جامعة دمشق، المطبعة التعاونية، دمشق، سورية، 1983.

9 – علم الجمال عند لوكاتش: د. رمضان بسطاوي، محمد غانم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1991.

10– علي محمود طه، الشاعر و الإنسان: أنور المعداوي، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد مديرية الثقافة العام، بغداد، 1965 .

11 – فلسفة الجمال في الفكر المعاصر : د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1981.

12 –فن الشعر : أرسطو ،تر: عبد الرحمن بدوي،ط2،دار الثقافة ، بيروت، 1973.

13– في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي: د. أحمد محمود خليل، ط1، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، 1996.

14– المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي: د. أحمد طعمة حلبي، وزارة الثقافة، دمشق، 2006 .

15– مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي: د. جابر عصفور، ط2،دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.

الدوريات :

16 – الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً: د. قيس النوري، مجلة عالم الفكر ، ع:1، مج:10، الكويت ، 1979.

17 – البعد النفسي بين التمزق و الصراع في ديوان أبو القاسم الشابي :د. عبد السلام المسدي ، مجلة الطليعة الأدبية، ع:2، سنة:6،بغداد ،1980.

الرسائل الجامعية:

18 – القيم الجمالية : سعد الدين كليب، أطروحة دكتورة، جامعة حلب ، كلية الآداب ،1989.